مقالات في فقه التحولات (2)

مكتوبات في زمن الكورونا

تعضيد

الحبيب أبي بكر العدني ابن علي المشهور

تأليف

عون معين القدومي

دار المُعين للنشر والتوزيع
Dar Al Mueen Publishing and Distribution

مقالات في فقه التحولات (٢)

مكتوبات في زمن الكورونا

بسم الله الرحمن الرحيم

نقل الشيخ سليمان الجمل في حاشيته المعتمدة في المذهب الشافعي عن الشيخ البرماوي عن الإمام شيخ الإسلام شهاب الدين البلقيني رحمهم الله أنه قال:

(مما جُرِّبَ لعدم دخول الطاعون الدار أن يكتب في ورقة وتلصق بباب الدار: «حي صمد باقي وله كنف واقي»)[1].

(١) «حاشية الشيخ سليمان الجمل على شرح المنهج في الفقه الشافعي»، (٣/ ٢١٤).

تعضيد الحبيب العلّامة أبي بكر العدني ابن علي المشهور

سَـلِمتْ يـدٌ كتبـتْ مقـالاتٍ عُمَـدْ ... جـاءتْ عـلى قَـدَرٍ تواكِـبُ مـا استجدْ

تصـفُ (الكورونـا) وهوَ قدْ بلـغَ الذُّرَى ... في العـالمِ الكَـونيِّ يَفْتِـكُ بالعَـدَدْ

فَتَحَـتْ لعـونٍ مِـنْ مَعـينِ وُرُودِهِ ... سَـبَبًا ليَـشرَحَ مـا اعْتَرانـا مِـن أَوَدْ

مُسترْسِـلًا في الوَصـفِ دونَ تَلَكُّـؤٍ ... وَمُدَلِّـلًا أقوالَـهُ أخْـذًا وَرَدْ

وَتَنـاولَ الأسـبَابَ مِـنْ حَيـثُ انتهَـتْ ... مَزْمُومَـةً بَـدْءًا وَخَتْـمًا بِالسَّـنَدْ

قَـدْ أَوضَـحَ الأَمْـرَ الَّـذِي ينتَابُنَـا ... عِنـدَ المُلِـمَّاتِ الَّتِـي تَغْـزُو البَلَـدْ

مُتَوَكِّلِـينَ عَـلى الَّـذِي فَطَـرَ الـوَرَى ... مُستَأنِسِـينَ بِحِفْـظِ مَولَانَـا الصَّمَـدْ

وَوِقَايَـةٌ لا بُـدَّ مِـنْ تَوفِيرِهَـا ... تَحْمِـي الجَمِيـعَ مِـنَ الإصَابَـةِ بِالعُقَـدْ

وَوُجُـوبِ أَخْـذِ الفِقْـهِ فِقْـهِ تَحَـوُّلٍ ... جَمَـعَ الـشُّرُوطَ لِصَـونِ أَمْـرِ المُعْتَقَـدْ

مِمَّـا جَـرَى أَو مَـا بِنَـا مِـنْ حَالَـةٍ ... صِرْنَـا بِهَـا أسْرَى لِفَتْـونٍ خَلَـدْ

وإشَـادَةٌ محمـودَةٌ عَـنْ مَوطِـنٍ ... أَمِـنَ الغَوَائِـلَ بِالنِّظَـامِ ومَـا اجْتَهَـدْ

وَأَتَـى الكِتَـابُ مُحاكِيًـا لِزْمَانِـهِ ... وَصْفًـا وَحَـالًا عَـنْ طُفَيـلِيٍّ وَرَدْ

وغَـدًا سَـيَذْهَبُ ثُـمَّ يَبْقَـى قِصَّـةً ... يُـرْوَى عَـلَى التَّارِيـخِ مِـنْ أبٍّ وَجَـدْ

بُورِكْـتَ يـا عَـونَ المُعِـينِ دَلالَـةً ... في العَـصْرِ تُحْيِـي مَـا مَـضَى أَو مَـا اسْـتَجَدْ

أبو بكر العدني ابن علي المشهور

أحور ١٥ ذو القعدة ١٤٤١

انتشرت هذه الصورة على مواقع التَّواصل الاجتماعيّ وهي تمثِّل الوجه الآخر للكورونا، ولوَّنَها راسمُها باللَّون الأخضر؛ لأنَّها حفظت كوكب الأرض من التَّلوثات وعوادِم السَّيارات، وأعادت النَّاس إلى حياة تشبه حياة الرِّيف، وتغيَّرت عاداتهم في الطَّعام والشّراب ممَّا أسهم في الاستقرار النِّسبي للصِّحة، فمن النَّاس من أصبح نومه أهنأ، ومنهم من أصبحَ تنفُّسه أنقى وأفضل، ومنهم من أمسى يرى المنزل بطريقة مختلفة، فأصبح يُصغي لأصوات العصافير في

هـدوء، وذلـك لأنَّ كثـرة التَّفاصيـل تقتـل في الإنسـان وتأخـذ منـه الكثـير، فـلا بـدَّ مـن أن نسـتفيد عـلى مسـتوى العـالم كشـعوب مـن هـذه المرحلـة لنعلـن خطَـط وبرامـج الاكتفـاء الـذَّاتي والتَّنميـة المسـتدامة لإنقـاذ مايمكـن إنقـاذه.

وتـأتي هـذه المقـالات والمكتوبـات توثيقـاً تفاعليـاً مـع هـذه اللحظة العالميـة في أنحـاء شـتى مـن الشـؤون المختلطـة والممتزجـة في ذات الكاتـب وملاحظاتـه للمـزاج العالمـي والحـال المرحـلي.

وتنوعـت هـذه الكتابـات وسـطورها عـبر شـهرين متتابعـين في التلقـي والإلقـاء، والتحمّـل والأداء، والتنـزّل والإفضـاء لآثـار هـذه الجائحـة في قضايـا مركّبـة وتوليفـة متداخلـة في همـوم أهـل القريـة العوليـة إيذانـاً باحتضـار هـذه العولمـة، وسـعياً لمخـارج آمنـة مسـتدامة في مشـاريع عمـل مبنيّـة عـلى تصـورات سـليمة وقـراءة منهجيـة منضبطـة ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسـف : ١٠].

الحبّ في زمن الكورونا [1]

عشنا في اليومين الماضيين في زمن الكورونا وعاصفة التنين وقاصفة الطين[2] في ثغر الأردن الباسم وحاضرة البحر الأحمر مدينة العقبة حُبّاً من نوعٍ مميّز ومودة رائقة اجتمعت فيها قلوب نُخبة من العلماء والدُّعاة والمربّين والحُداة؛ امتزجت فيها الأرواح وتشابكت فيها الذَّوات حاملين همّاً واحداً وفكراً رائقاً في نشر الحبّ وطريق الصفاء والسَّكينة في عالم يعيش الاضطراب والحيرة، حيث تباحث الجمع في سبيل إحياء مناهج العلم المُسند لكي لا يكون جيلنا المعاصر وأطفالنا أسرى حيرة وقلق معرفي عبر تأسيسٍ منهجيّ مرجعيّ منضبط في تناول الكتاب والسُّنة وتداول أحكام العقل والنّقل يرتبط بحياة روحية مسلسلة قلبياً بأسانيد متّصلة إلى مقام النُّبوة، تمُد الشَّخصية بأسباب التّوازن النّفسي ويبرز في تجربة دعوية متجدّدة سقفها الرِّضا الإلهي الكبير وعنوانها: «إحياء الدين كله في العالم كله».

وكذلك دور معاهد الإسناد في بثِّ روح العلم وسند الفهم ونور الرَّحمة وسرّ المحبّة بإفشاء السَّلام وتأمين المجتمعات وإحياء روح الإحسان والإتقان في الشَّعائر والمشاعر مرتبطة بسياقات الذّات والمجتمع، وكذا جامعاتنا المعاصرة التي تضفي بحثاً علمياً ونظرياً

(١) على نمط رواية الروائي الكولومبي غابرييل ماركيز: (الحب في زمن الكوليرا)، جاء وقت كتابتها على هامش ملتقى الخويصة العاشر بمدينة العقبة ١٤/ ٣/ ٢٠٢٠ الموافق لـ ١٩ رجب ١٤٤١ هـ.

(٢) عاصفة التنين صادفت أيام ملتقى الخويصة من موجة غبار في ذلك الوقت.

في مستجدّات النوازل وتوجِدُ حالة من تقبُّل الآخر فكراً وطريقةً ومذهباً عبر سنين الدرس والتلقي، فاجتمعوا من قبائل وبلادٍ شتّى على غير أرحام يحملون تجاربهم ونماذجهم لتشتبك الخبرات وتصقل المواهب والملكات من مختلف المحافظات الأردنية ومن أقاليم متنوعة : بريطانيا، الصومال، كينيا، تركيا، أندونيسيا،السودان، والحجاز.

هذا حبٌّ عميق على بساط عشق أصيل كان من يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ويمتد إلى محاضر العرش في ساحة المحشر بميثاق نبوي قلبي.

ومن ثمرات هذا الحب نشر ألويته في العالمين فكان تأسيس راديو وتلفزيون محبّة.

راديو وتلفزيون محبَّة[١]

من مبادرات المحبَّة الإيجابيَّة في زمن الكورونا انطلاق راديو وتلفزيون محبّة في بثِّه التجريبي في رمضان ١٤٤١ هـ، وهو فكرة مجموعة من الشَّباب لينشروا ثقافة المحبَّة في العالم في زمن تكثر فيه القنوات والشَّاشات والإعلام والمواقع التي تسهِم في إشاعة لغة الكراهية، وينفعل أمامها الإنسان انفعالات سلبية، فلأجل أن نضبط الانفعال، وكي نشيع المشاعر الإيجابية والتفاؤل، ولإحياء المنهج النَّبوي في الواقع المعاصر المتحوِّل والزَّمن المتغير الذي نعيشه، انطلق راديو وتلفزيون محبَّة

(١) انطلق بث الراديو بتاريخ ٢٤/ ٤/ ٢٠٢٠م. الموافق ١ رمضان ١٤٤١ هـ عبر صفحة الفيسبوك في بثِّه التجريبي.

وسط هذا الرُّكام والزِّحام والأصوات والنداءات، بإمكانيّات بسيطة وبوجهة وهمَّة قلب واحد، ونية منعقدة إلى الحقِّ سبحانه وتعالى، ورايـة نبويَّة ترفرف، جاءت هذه البادرة لتنطلق في بثّها التجريبي في هذا الأثير والفضاء لنتّصل في معنىً من معاني الوجدان القلبي والوشيجة الروحية والتكاتف والتكامل أمام هذا الواقع المتغير.

الطُّمأنينة في ساعة القَلق[1]

سؤال: يمرُّ العالم الآن بأزمة صحيَّة فيها نوع من الاضطراب والقلق والخوف نتيجة هذا الفيروس الذي انتشر، والعالم كلُّه يتأهَّب لمقاومة هذا الأمر، ونريد أن نتناول هذا الأمر من الجانب الرُّوحي.

وكما هو منهج النَّبيّ ﷺ علينا أن ننشر الطُّمأنينة في ساعة القلق، وهذا المنهج النَّبوي نجده في كثير من الآيات والمواقف التي سطَّرها الله عزَّ وجلّ وخطَّها في كتابه الكريم حينما قال: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم: ٢٥] بالرَّغم ممَّا وصلت إليه السيِّدة مريم من الخوف والاضطراب لكن الله عزَّ وجلّ كان يطمئِنها فخاطبها: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾ [مريم: ٢٦]، وكذلك حينما قال يعقوب لأولاده: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، وحينما قال يوسف لأخيه: ﴿فَلَا تَبۡتَٔيِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [يوسف: ٦٩]، وعندما قال سيدنا شعيب لموسى: ﴿قَالَ لَا تَخَفۡ﴾ [القصص: ٢٥]، كل هذا موجود في كتاب الله.

في ظل ذلك كيف نطمئن النَّاس في هذه الظُّروف ليكونوا على يقينٍ بالله كما أوصى عبادة بن الصامت ابنه فقال: «إنَّك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ، يقول: إن أول ما خلق الله القلم،

(١) أصل هذه المقالة حوار إذاعي قبل الحظر الشامل في الأردن مع أزمة جائحة كورونا في منتصف شهر مارس/ آذار، في برنامج الدكتور حمزة بني عامر على إذاعة الأمن العام.

فقال له: اكتب قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كلّ شيء حتى تقوم السَّاعة. يا بنيّ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من مات على غير هذا فليس مني»[1].

الحمد لله القائل: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢] ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]. اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد صلاةً تحفظنا وتشافينا بها من كلِّ وجعٍ وألمٍ وقلقٍ وعلّة.

نحن نتوجه إلى الله بما توجه به الأكابر من العلماء كالشيخ يوسف بن إسماعيل النَّبهاني في قصيدته المسمّاة: «المزدوجة الحَسنا في التشفع بالأسماء الحُسنى» فيقول فيها:

أدَّبتنا بما جرى يكفينا

نسأل الله في هذه السَّاعة أن لا يرينا فينا أو في أحبابنا فجيعة ولا قطيعة.

إنَّ بثّ الطُّمأنينة منهج نبويّ وخاصّة أنَّ العالم قد مرَّ بأزمات مماثلة ومشابهة، بل نجد أنَّ هناك روايات عالميَّة قد أُلِّفت في زمن الأوبئة سواءً في كولومبيا كرواية غابرييل ماركيز: «الحب في زمن الكوليرا»، أو في فرنسا كرواية ألبير كامو «الطاعون». تناولت هذه الرِّوايات وقائع مجتمعية متعدِّدة، وفي مكتبتنا الإسلامية كتب خاصَّة

(١) «سنن أبي داود»، (٤٧٠٠).

في مرض الطَّاعون ككتاب الإمام ابن حجر العسقلاني «بذل الماعون في فضل الطاعون»، وهكذا تزخر مكتبتنا الإسلامية بكتب تتكلَّم عن الأوبئة.

وفي حياة الرسول ﷺ وقع وباء شيرويه في السَّنة السَّادسة للهجرة[1] ولكن حفِظت منه أطراف المسلمين، ثمَّ في الشام وحدها توفي خمسة وعشرون ألفاً من الصَّحابة بطاعون عمواس وكان على رأسهم سيّدنا معاذ بن جبل و سيّدنا أبو عبيدة عامر بن الجراح وأغلب قادة الشّام[2]، ولم يسلموا من هذا الأمر إلا حينما تولَّى الرَّاية عمرو بن العاص فأخذ بنصيحة سيَدنا عمر بن الخطاب بأنَّ هذا الوباء وهذا الطَّاعون لا يصعد إلى الجبال، فقد روي أنَّ عمر كتب إلى أبي عبيدة: « إنَّك أنزلت النَّاس أرضاً عميقة فارفعهم إلى أرضٍ مرتفعة»[3]، فلا حلَّ له إلاّ الانتقال إلى مناخ ومزاج آخر، فانتقل النَّاس في نفس المحيط والجغرافيا من السُّهول والأودية إلى الجبال، فانحسر هذا الدَّاء.

وقد ذُكر أنَّ الطَّاعون يقع في أعدل الفصول أي: أنَّها تشتد بعد الشِّتاء وتنتشر في الرَّبيع وترتفع مع الصيف[4] .وأورد ابن حجر العسقلاني في كتابه «بذل الماعون» بنقولات وأحاديث عن النَّبيّ ﷺ

(١) انظر:«تاريخ الخميس في أحوال أنفس النَّفيس»، للديار بكري، (٢/ ٣٠٤).
(٢) انظر: المصدر السّابق، (٢/ ٢٤٢).
(٣) «السِّيرة النبويَّة وأخبار الخلفاء»، لابن حبَّان. (٢/ ٤٧٦).
(٤) انظر: «بذل الماعون في فضل الطاعون»، (ص١٠٥). و«المواهب اللَّدنيَّة بالمنح المحمَّديَّة»، للقسطلاني، (٣/ ٧٨).

كقوله: «إنَّ أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش وربَّ قتيل بين الصَّفين الله أعلم بنيَّته»[١]، وقال ﷺ: «فناء أمتي بالطَّعن والطَّاعون»[٢]، وبين الطَّعن والطَّاعون تركيبة صرفيَّة ومعجميَّة متقاربة، وتقارُب في الهيئة والصُّورة، قال ﷺ: «يختصم الشُّهداء والمتوفَّون على فرشهم إلى ربِّنا في الَّذين يتوفَّون من الطَّاعون، فيقول الشُّهداء: إخواننا قُتلوا كما قُتِلنا، ويقول المتوفَّون على فرشهم: إخواننا ماتوا على فُرُشهم كما مُتنا، فيقول ربّنا: انظروا إلى جراحهم، فإن أشبه جراحهم جراح المقتولين، فإنَّهم منهم ومعهم، فإذا جراحهم قد أشبهت جراحهم»[٣].

لقد عاشت الأمَّة أزمات وأوبئة مثل الكوليرا التي حصدت أرواحاً بالملايين أو بمئات الآلاف، ونحن اليوم في واقعنا المعاصر نستشعر ونستذكر أنَّنا في نعمة عظيمة أمام هذا الرَّصد العالمي للأعداد والأدوات التُّكنولوجية المستخدمة والوعي والنُّضج الموجود عند الشُّعوب، ففي التاريخ قبل مئات السِّنين كان الوباء يقتل مليون أو مئة ألف، وربما يمرّ الأمر ولا يعرفون ما سببه؛ لأنَّ النَّاس لم تكن بمثل هذا النُّضج والوعي ولم يكن هناك وسائل تواصل، لكن اليوم نرصد الحالات في العالم وكأنَّنا نجلس في منصَّة أو جهة واحدة، وحقيقة ثمَّة استعداد وتهيُّؤ عالمي في مجال التعاطي مع هذه الظَّواهر والأزمات بحالة أكثر شفافيَّة ومسؤوليَّة.

(١) «مسند أحمد»، (٣٧٧٢).
(٢) «مسند أحمد»، (١٩٥٢٨).
(٣) «سنن النسائي»، (٣١٦٤).

هـذا مـن جهـة، ومـن جهـة نحـن نحمـد الله عـزَّ جـلّ عـلى النِّعـم التـي نعيشـها والتـي تسـهم في تخفيـف وقـع هـذه الأزمـة، ومـن الممكـن أن تجعلهـا تعـبر بسـلام، وإلا فقـد حصـل مثيلاتهـا مـع عـدم وجـود هـذه الإمكانيـات والأدوات والاسـتعدادات.

لدينـا اليـوم هيئـات الصِّحـة المحليَّـة والدوليَّـة وقـد قطعـت شـوطاً أفضـل مـن السَّـنوات والعقـود والقـرون الماضيـة، ثـمَّ أنَّ النُّضـج والثَّقافـة والعقليـة الموجـودة عنـد النَّـاس أكثـر اسـتعداداً مـن السَّـابق، بسـبب كثـرة الجهـل والأميَّـة وضعـف العقليَّـات والنَّفسـيات سـابقاً، لكـن اليـوم طُـرُق المعرفـة والاسـتعدادات وإدراكنـا لحجـم المشـكلة أوسـع، وهـذه كلهـا خطـوات تحـاصر هـذه الأزمـة العالميَّـة.

وقـد حـدث في الأمـم السـابقة كـما قـرأت في بعـض الإصحاحـات أن بنـي إسرائيـل خُـيِّروا عندمـا أذنبـوا ذنبـاً أوجـب عليهـم العـذاب بـين أن يجوعـوا سـبع سـنوات أو أن يقعـدوا ثلاثـة أشـهر وعدوّهـم يتابعهـم أو أن يقـع عليهـم في ثلاثـة أيـام وبـاء، فاختـاروا الوبـاء، وهـذا مذكـور في التـوراة والإسرائيليـات وبعـض التفاسـير، ثـم جاءهـم الوبـاء في يـوم فأخـذ منهـم سـبعين ألفـاً[1]. وقـال ﷺ: «الطَّاعـون رجـس أرسـل عـلى طائفـة مـن بنـي إسرائيـل، أو عـلى مـن كان قبلكـم، فـإذا سـمعتم بـه بـأرض، فـلا تقدمـوا عليـه، وإذا وقـع بـأرض وأنتـم بهـا فـلا تخرجـوا فـراراً منـه»[2]، وحـدث

(١) انظر: «تفسير الطبري»، (١٣/ ٢٦٢).
(٢) «صحيح البخاري»، (٣٤٧٣).

مثله كثيراً في الأدبيات سواء في التوراة أو الانجيل، لأنَّ البعض يتساءل مع كلِّ حدث يحدث لماذا يحدث لنا هذا نحن ين؟ بينما هي في الواقع أزمة عالمية وكل أصحاب معتقد وفكرة عندهم أصولهم وتراثهم فيما يخص مثل هذه الأزمات، ففي السِّيرة النَّبوية أنَّ الرَّسول ﷺ توفي والده بعدوى كهذه، والبعض يقول مثل الدكتور عماد الدين خليل [1] أنه شرب من ماء المدينة وكان ملوثاً فأصيب بالملاريا[2]، وبعضهم يقول المرض المرتبط بالمياه ليس الملاريا بل هو من نوع البلهارسيا، الخلاصة أنَّها نوع من العدوى، وبعد ست سنوات تموت السيِّدة آمنة بنفس الطريقة، وحينما دخل سيدنا محمد ﷺ مع أصحابه إلى المدينة وُعِك أصحابه، فعن السيِّدة عائشة رضي الله عنها قالت: «لـمَّا قدم رسول الله ﷺ المدينة، وُعِك أبو بكر، وبلال، فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئٍ مصبَّح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادٍ وحولي إذخرٌ وجليلُ

(١) الدكتور عماد الدين خليل صاحب كتاب (دراسة في السِّيرة) وهو مؤرخ عراقي، يشير إلى أن سبب وفاة عبد الله والد النبي ﷺ هو تلوث مياه المدينة وانتشار الأوبئة فيه، فيحتمل أنه أصيب بمرض الملاريا وتوفي بسببه. انظر: (ص ١٣).

(٢) كان تلوُّث المياه إحدى الإشكاليات التي واجهت النَّبيّ عليه الصَّلاة والسَّلام عند هجرته فبدأ يستصلحها ويعالج أمرها، وكانت المدينة مملوءة بالأوبئة كالحمَّى التي أخذ النَّبيّ ﷺ الضَّمان من الله أن تخرج من المدينة إلى رابغ، فرآها عليه الصَّلاة والسَّلام على هيئة عجوز شمطاء خرجت من المدينة. انظر: «صحيح البخاري»، (٧٠٣٨).

وهل أرِدنَّ يـــوماً مياه مـجنة وهل يبدون لي شامةٌ وطفيلُ

قـال: اللَّهـمَّ العـن شـيبة بـن ربيعـة، وعتبـة بـن ربيعـة، وأميَّـة بـن خلـف كـما أخرجونـا مـن أرضنـا إلى أرض الوبـاء، ثـم قـال رسـول الله ﷺ: اللهـمَّ حبِّـب إلينـا المدينـة كحبّنـا مكَّـة أو أشـدّ، اللَّهـمَّ بـارك لنـا في صاعنـا وفي مدِّنـا، وصحِّحهـا لنـا، وانقـل حمَّاهـا إلى الجحفـة، قالـت: وقدمنـا المدينـة وهـي أوبـأ أرض الله، قالـت: فـكان بطحـان يجـري نجـلاً تعنـي مـاء آجنـا»[1].

وعـن أنـس بـن مالـك، قـال: «دخـل رسـول الله ﷺ عـلى عائشـة رضي الله عنهـا وهـي موعوكـة، فقـال: مـالي أراك هكـذا، فقالـت: بـأبي وأمِّي هـذه الحمـى وسـبَّتها، فقـال: لا تسـبيها فإنَّهـا مأمـورة، ولكـن إن شـئت علمتـك كلـمات إذا تلوتهـم أذهبهـا الله تعـالى عنـك، قالـت: فعلِّمنـي، قـال: قـولي: اللَّهـمَّ ارحـم جلـدي الرَّقيـق، وعظمـي الدَّقيـق مـن شـدَّة الحريـق، يـا أم ملـدم: إن كنـت آمنـت بـالله العظيـم فـلا تصدعـي الـرأس ولا تتنـي الفـم، ولا تـأكلي اللَّحـم، ولا تـشربي الـدم وتحـوَّلي منِّـي إلى مـن اتَّـخذ مـع الله إلهـاً آخـر. قـال: فقالتهـا، فذهبـت»[2]، ومـن جملـة مـن أصابتهـم الحمـى أبـو بكـر وعامـر بـن فهـيرة وبـلال وكانـا ببيـت واحـد، والنَّبـيّ ﷺ زار بـلال وأبـو بكـر، وكان عامـر بـن فهـيرة يقـول مـن شـدَّة الحمَّـى: «إنِّي وجـدت المـوت قبـل ذوقـه، إنَّ الجبـان خنقـه مـن فرقـه»[3].

(١) «صحيح البخاري»، (١٨٨٩).
(٢) «دلائل النبوة»، للبيهقي، (٦/ ١٦٩).
(٣) «السيرة الحلبية»، (٢/ ١١٦).

وحينما رأى ﷺ أصحابه مرضى في الفُرُش توجَّه إلى ربه بأن يخرج الحمَّى من المدينة وألاَّ يدخلها ولا الطَّاعون ولا الدَّجال، فقال ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون، ولا الدجال»[1]، ودعا أن يكون غبارها وتربتها وهوائها وحرها شفاء، واتخذ النَّبيّ ﷺ مجموعة من التدابير: منها الإلحاح على الله والتوجُّه إليه بالعبودية، وأنه استعان بالخبرات الشبابية التي أشبه ما تكون اليوم بالطاقة المتجددة والتنمية المستدامة، وبدأ بدراسة كيفية إخراج المدينة من أزمة التلوُّث وكيف يغيروا مناخها، فبدأوا بدراسة العلل والأسباب.

ووجّه النَّبيّ ﷺ طاقات الشباب لحل مشكلة الوباء فأتى بواحد من الصحابة واسمه: «طلحة بن عبيد الله» وكان مهندساً وخبيراً في دراسات المياه كما نسمّيه اليوم، فحوَّل مجرى ماء بطحان الذي كان يقال فيه: «كان بطحان يجري ثجلا»[2]، بعد أن كان ريح بطحان نتناً جعل النَّبيّ ﷺ يدرس إحداثيات وجغرافية وطبوغرافية الوادي، مناخه وموقع الوادي من الشمس والريح، وبعد أن تغيَّرت إحداثيات الوادي وإذا بالرَّسول ﷺ يقف على وادي بطحان بعد أن أصبح طيِّباً عذباً فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ بطحان على بركة من برك الجنة»[3]، فاستطاع طلحة بن عبيد الله وهو أحد العشرة المبشَّرين بالجنَّة أن يوجد

(١) «صحيح البخاري»، (١٨٨٠).
(٢) أي: ماء آجنا. «إمتاع الأسماع»، (١١/ ٢٩٨).
(٣) «مسند البزار»، (٩٤). وفي رواية: «إنَّ بطحان على تُرعةٍ من تُرع الجنَّة». انظر: «التاريخ الكبير»، للبخاري، (١٦٥٠).

مصـادر متجـدِّدة وطاقـة بديلـة للـماء[1]، فحفـر الأبـار وجـدَّد الينابيـع، بـل وتعـدى الأمـر إلى محـاولات للشراكـة مـع الوجـود اليهـودي في المدينـة بـادئ الأمـر مثـل بئـر رومـة وحينـما لم تنفـع هـذه الشراكـة اشـترى سـيدنا عثـمان بـن عفـان البئـر في عمليـة توفـير المـاء لأهـل المدينـة وبعـض جهاتهـا، وتفـل النَّبـيّ ﷺ في بئـر مالـــح فجـرى عذبـاً فراتـــاً، وأصبـح يسـمَّى: «بئر تفلـة»[2]، هـذه منهجيـة في تحليـة المـاء المالـح، ثـم بـدأ الرَّسـول عليـه الصَّلاة والسـلام أن يبحـث عـن مصـادر جديـدة للميـاه الجوفيـة وبـدأ يسـتوهب مـن الأنصـار الأراضي المزروعـة التـي فيهـا ميـاه ويحافـظ عليهـا.

وقـد أمـر النَّبـيّ ﷺ لحـلِّ أزمـة التلـوُّث بتنظيـف الأفنيـة فقـال ﷺ: «إنَّ الله طيِّـب يحـبُّ الطيِّـب، نظيـفٌ يحـبُّ النَّظافـة، كريـمٌ يحـبُّ الكـرم، جـواد يحـبُّ الجُّـود، فنظِّفـوا أفنيتكـم ولا تشـبَّهوا باليهـود »[3]، فكانت لدى اليهـود أزمـة في النَّظافـة وسـلوكهم في المدينـة مـن أسـباب تلوُّثهـا وأوبئتهـا بسـبب سـوء تصرُّفهـم مـع المخلَّفـات والنُّفايـات. وكذلـك نهـى النَّبـيّ ﷺ أن يبـال في المـاء الرَّاكـد، فعـن جابـر قـال: «عـن رسـول الله ﷺ أنَّـه نهـى أن يُـبال في المـاء الراكـد»[4]، وذلـك كـي لا يصبـح بـؤرة للأوبئـة والأمـراض.

---

(١) مـع الأزمـة المعـاصرة لا بـدّ مـن التوجُّـه إلى اسـتثمار وارتفـاق آفـاق الطاقـة المتجـدِّدة المتنوِّعـة كطاقـة الشَّـمس وطاقـة الريِّـاح وطاقـة الأرض وطاقـة الميـاه لأجـل تنميـة مسـتدامة وتحصيـل المـواد الأوليـة التـي تقـوم عليهـا الإنتاجـات والصِّناعـات التَّحويليـة.

(٢) انظـر: «عيـون الأثـر»، (٢/ ٣٥٦)، و«تاريـخ الخميـس في أحـوال أنفـس نفيـس»، (١/ ٢٢١).

(٣) «سنن الترمذي»، (٢٧٩٩).

(٤) «صحيـح مسـلم»، (٩٤) (٢٨١). وفي روايـة عـن أبي هريـرة: «نهـى رسـول الله ﷺ أن يبـال في المـاء الراكـد ثـم يغتسـل منـه»، «سـنن النسـائي»، (٣٩٩).

ثم بدأ طلحة بن عبيد الله يعيد ترتيب إحداثيات ومسارات بعض الأودية مثل مهزور ورانوناء ليوجد الحلول، وبدأ يبحث عن الماء المالح في المدينةكبئر تفلة الذي كان ملحاً أجاجاً فتحوَّل إلى ماء عذب فرات بسبب تعاطي الرسول عليه الصَّلاة والسلام معه.

لم تمرُّ أشهر إلاَّ والمدينة من أنعم البلدان بماءها وثروتها المائيَّة، فقد أضحت المدينة بعد أن دخلها النَّبيّ ﷺ في رغد، واليوم نحن وإياكم نذهب للمدينة ونرجو أن نشرب من ماء رومة الذي اشتراه سيدنا عثمان رضي الله عنه، ونسمع بماء العهن وغيرها من مياه المدينة، فهي سبعة آبار كانت في المدينة[1] إلى الآن ندرسها وسنوياً حينما نزور المدينة نتتبَّعها، والمُتتبّع في السيرة المشرّفة يجدها أكثر من ذلك.

وجزء من التدابير التي وجَّهها النَّبيّ عليه الصَّلاة والسَّلام للأفراد في المدينة هي حالة نبوية تمثل العبودية والروحانية والإيمان، وأنا أظن أن هذه مهمةٌ جداً، لأن الرُّوح المعنويَّة هي الأقوى، فهناك من النَّاس من يمرض من دون مرض، وبعض النَّاس يتعللون بالأدوية وهم ليس بهم بأس، نحن لا نريد للهلع والخوف والرهبة أن يتملك أهلنا، اليوم سمعنا أنَّ الأولاد أصبحوا يشتكون مع أنَّنا نسمع أنَّ هذا المرض صديق للأطفال فيأتي الطفل لأهله ويطلب أن تُرى درجة حرارته خوفاً من المرض، إذا تملكنا الرُّعب يصبح فيروس الرعب هو

(١) نظمها أبو اليمن المراغي كما روي في «سبل الهدى والرشاد»، (٧/ ٢٣٠)، بقوله:

إذا رمت آبار النَّبيّ بطيبة ... فعدّتها سبع مقالا بلا وهن

أريس وغرس رومة وبضاعة ... كذا بصة قل بير حاء مع العهن

الخطر وهذه مسألة مهمة جداً.

إذن نحن اليوم أمام معالجات وحل نبوي لمشكلة التلوث ومشكلة شحِّ المياه في المدينة والتي أودت بالنَّاس إلى الأمراض والأسقام والعلل، فنحن بحاجة إلى مجموعة من التدابير لنحفظ مرحلتنا ونسهم في تخفيف حدة هذه الأزمة سواء على صعيد الفرد أو الأسرة أو المجموع، أو على صعيد الأمة في مبادرتها لحل مثل هذه المشكلة.

إذن كانت للنَّبي ﷺ حالة روحية من العبودية في مواجهة هذا الأمر باطنياً وروحياً وإيمانياً، وكانت هنالك تدابير على مستوى المدينة بمجموع عقلياتها وخبراتها وكانت هنالك تدابير على مستوى الفرد.

نحن اليوم بحاجة إلى أن نوضِّح ما معنى أوراد وأذكار؟ وما هي الأعمال الصالحة التي ممكن أن نقدمها بين يدي المولى عزَّ وجل عسى أن يرفع عنا هذه الأزمة.

يقول ﷺ: «داووا مرضاكم بالصَّدقة»[1]، ويقولون: باللُّقم تدفع النِّقم. وقد جعل الله الذكر رفعاً للبلاء، وهناك تدابير لا بدَّ أن تتَّخذها الأمَّة فيلتقي خبراءها من بلادنا العربية والإسلامية ويتكاتفوا مع أطباء العالم فيوجدوا لنا مخرجات لهذه الأزمة، لأن هذه الحالة عالمية، وهناك أيضاً تدابير قد وجَّهت إليها بعض الجهات الصِّحية أو أصحاب الخبرات بما الذي يجب أن يسلكه الإنسان ليقاوم هذه

(١) «السنن الكبرى»، للبيهقي، (٦٥٩٣).

العـدوى والله تعـالى أعلـم.

سـؤال: قـد وجَّهنـا النَّبـيّ ﷺ إلى كيفيَّـة التعامـل مـع الواقـع الـذي نعيـش فيـه، مـن ذلـك أنـه قـال ﷺ: «املِـك عليـكَ لِسـانك، وليَسـعْك بيتُـك، وابـكِ عـلى خطيئتِـك»[1]، لـو نظرنـا إلى هـذه المفاهيم وهـذه الكلمات لوجدنـا أنَّ لـكل كلمـة مدلـول، فمثـلاً عندمـا قـال ﷺ: «املـك عليـك لسـانك»، قـد يكـون مـن معانيهـا: لا للإشـاعات المغرضـة والهدّامـة. ولا بـد أنـك اطَّلعـت وسـمعت ورأيـت البعـض الذيـن يثـيرون الإشـاعات، ولم يصـل فقـط الأمـر أن يقـف عـلى الإشـاعات بـل تعـدَّى الأمـر إلى أنَّ بعضهـم أتـى بأحاديـث مكذوبـة عـن النَّبـيّ ﷺ بـأن هـذه الأمَّـة سـتُمحى عـن بكـرة أبيهـا، وأنَّ هـذا الهـواء يحمـل معـه نسـمات المـرض! وعندمـا تتبَّعنـا هـذا الـكلام وجدنـاه كـذب لا أصـل لـه، والله تبـارك وتعـالى عندمـا وصـف الإشـاعات في حادثـة الإفـك قـال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النـور: ١٥]، مـع أنَّ التلقِّـي يكـون بـالأُذُن، لكنـه قـال بألسـنتكم، أي: أن البعـض حينـما يصلـه الخـبر يبثـه مبـاشرةً، والواجـب أن يتحـرى المـرء ويتحقَّـق مـن ذلـك، فـماذا نقـول للنَّـاس في مثـل هـذه الأوضـاع والظـروف، والبعـض خائـف مـن غـير أن يسـمع إشـاعات كاذبـة، ولـو سـمعها لزادتـه خوفـاً عـلى خـوف.

قـال الله تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجـرات: ٦]، وفي قـراءة أخـرى يقول: ﴿فتثبتـوا﴾[2] إذن نحـن أمـام

(١) «سـنن الترِّمـذي»، (٢٤٠٦). وفي روايـة: «أمسـك عليـك لسـانك». «المعجـم الأوسـط»، للطـبراني، (٥٧٩٩).
(٢) انظر: «النَّشر في القراءات العشر»، لابن الجزري، (٢/ ٢٥١).

منهجين في التعاطي مع الأخبار والكلام والإشاعة، أولاً: (التبيُّن) والثاني: (التثبُّت)، التثبُّت يكون مع النَّاقل، والتبيُّن يكون مع النَّقل نفسه، فيحتاج الإنسان أن يضبط المدخلات الواردة، فيدرك ما الذي يسمعه من النَّاس وخاصة أننا ضمن مجتمع متديِّن، وطبيعة النّاس وذاتيتهم يحبّون أن يسمعوا كلام الدين وكلام أهل الإيمان، فتخيل أن ترتبط عندهم بعض الوقائع بشؤون أحاديث بفهم مغلوط أو نقل كاذب، هذا يحتاج إلى الانتباه فيما يروى ويذكر.

قراءتي أنَّ الظُّروف والإمكانات والاستعدادات المتاحة اليوم قد تخفِّف من حدَّة هذه الأزمة بصورة تختلف عن الذي مرَّ علينا في تاريخ أمَّتنا، وإنَّني مطمئن جداً إلى أنّ هذه الأزمة ستكون بحول الله بخسائر أقل.

وعلى الإنسان ألاَّ يتعجَّل بذاته نقل الكلام، فبعض القصص التي سمعناها تضعف الثِّقة لدى الإنسان، فعندما يسمع الواحد خبراً من هنا وخبراً من هناك وكلَ خبر يعارض الثاني فلا شك أن حالته ستتأزم، ولا شك أن ثمَّة جهات موجودة في العالم اليوم ذات مصداقية ومسؤولية مختصَّة في أن تبرز الصورة الواضحة، وعلى الإنسان أن يتعاطى مع الموضوع بهذا المستوى، لا أن ينزل لمستويات لم يأذن الله بها قد تدخله في مشاكل وتسبب له ورطات في ذاته ونفسيته فهذه مسألة خطيرة.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا حسن الإصغاء وأن نغربل الأشياء

التي نسمعها فنتعامل مع الأمور بمنطق المسؤولية، خصوصاً أنَّ منَّا الأب ومنَّا الأم ممن له دور في مجتمعه وموقعه، ففي زمن النَّبيّ ﷺ كما يروي أنس قال: «كان النَّبيّ ﷺ أحسن النَّاس، وأجود النَّاس، وأشجع النَّاس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق النَّاس قِبلَ الصوت، فاستقبلهم النَّبيّ ﷺ قد سَبَقَ النَّاس إلى الصوت، وهو يقول: لن تُراعوا لن تُراعوا»[1]، فالرسول ﷺ كان يطمئِن النَّاس دائماً، وفي تلك الأزمة التي كادت أن تعصف بأصحابه فيموتوا في المدينة بسبب التلوث كان عليه الصَّلاة والسَّلام موقفه موقف المطمئن الذي يغرس الاطمئنان، قال ﷺ: «رأيتُ كأنَّ امرأةً سوداء ثائرة الرأس، خرجت من المدينة، حتى قامت بِمهيَعة - وهي الجحفة - فأوَّلتُ أنَّ وباء المدينة نُقِلَ إليها»[2]، وقال ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون، ولا الدجال»[3] فبشَّرهم ﷺ بأنَّ المدينة محفوظة إلى قيام الساعة، انظر إلى هذه البشارة النبويَّة وقوَّة الثِّقة بالله سبحانه وتعالى.

سؤال: عندما نقرأ في كتب الفقه نقرأ عبارة نصَّ عليها الفقهاء كثيراً وهي أنَّ تصرّف الإمام على رعيته منوط بالمصلحة، فإذا رأى الإمام أو وليّ الأمر أمراً يعود بالنَّفع على النَّاس فلابدَّ من أخذ هذا الأمر بعين الاعتبار ومخالفته تستوجب الإثم، لعل من ذلك قانون السَّير و هو قانون شرعي رأى فيه ولي الأمر مصلحة تعود على النَّاس،

(١) «صحيح البخاري»، (٦٠٣٣).
(٢) «المصدر السابق»، (٧٠٣٨).
(٣) سبق تخريجه.

الآن التدابير الاحترازية التي اتخذتها الدولة منها ما أفتت به دائرة الإفتاء العام وما أكدته وزارة الأوقاف والشؤون المقدَّسات الإسلاميَّة فيما يتعلَّق بالمساجد وهم قلَّة قليلة يتذمَّرون من ذلك ويظنُّون أنَّ هذه هي المرَّة الأولى التي تغلق فيها المساجد، بينما هذه ليست المرَّة الأولى التي لا تقام فيها الصَّلاة في المساجد على مرِّ التاريخ، والحرم المكي أكثر من مرة قد أُغلق سابقاً، نريد أن نطمئِن النَّاس أن هذه التدابير الاحترازية باتت من الضرورة الملحَّة وليس الهدف منها إغلاق المساجد أو منع الكنائس والتجمُّعات كما يقول البعض إنما الهدف منها مصلحة الإنسان أليس كذلك؟

يقول سعيد بن عبد العزيز: «لما كان أيام الحرَّة[1] لم يؤذَّن في مسجد النَّبيّ ﷺ ثلاثاً، ولم يُقَم، ولم يبرح سعيد بن المسيِّب المسجد، وكان لا يَعرفُ وقت الصَّلاة إلا بهمهمةٍ يسمعها من قبر النَّبيّ ﷺ»[2]، هذا النصّ وغيره من الأحداث والوقائع حصلت في تاريخنا الإسلامي وإخواننا ومشايخنا في دائرة الإفتاء وما جاء في بيان هيئة كبار العلماء

(١) يوم الحرّة أو وقعة الحرّة وتسمى أيضاً يوم الوقعة: وقعة مشهورة في الإسلام،والحرّة موقع حوالي المدينة المنورة عند الحرّة والحرة أرض ذات حجارة سوداء. كانت يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة (٦٣ هـ). وكان سببها حركة المدينة ضد يزيد واخراجهم مروان بن الحكم وبنى أمية من المدينة. قُتِل فيها أهل المدينة حتى كاد لا ينفلت منهم أحد كما جاء في الحديث، وعن مالك بن أنس قال: قُتل يوم الحرّة سبعمائة رجل من حملة القرآن منهم ثلاثمائة من الصحابة وذلك في خلافة يزيد بن معاوية على يد مسلم بن عقبة المري، حيث استباح المدينة ثلاثة أيام. انظر: «المستَخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة»، للأصبهاني، (١/ ٣٦)، و«البداية والنهاية»، لابن كثير، (١/ ١٠٠).

(٢) «سنن الدارمي»، (٩٤).

في مصر وعدد من المدن المسلمة والإسلامية لديهم مستوىً من الوعي بأنَّ صلاح الأديان مرتبط بصلاح الأبدان، وقضيَّة التجمُّع هي دراسة شاملة لكلّ ما من شأنه أن يقع فيه التجمُّع سواء كان مجمعاً تجارياً أو صالة عرس أو موقع عزاء أو مسجد، لأنَّ هذا المرض يتنقل عبر التَّواصل والتَّماس، لكن إخواننا الأئمة القاطنين في المساجد بإمكانهم أن يباشروا صلاتهم، وكل إنسان في بيته الآن يمكنه ذلك، ونحن نتأسف على بعض حمامات المسجد ممن تعلَّقت قلوبهم بالمساجد، ولعلَّ ما نحن فيه مشهداً يريد الله عزَّ وجلّ من خلاله أن يُرينا النِّعمة، فعلى الإنسان أن يجدِّد عهده مع الصَّلاة، وهي رسالة لمن يصلِّي في المسجد ولمن لا يصلِّي في المسجد ولمن لا يصلِّي أبداً أنَّنا كنَّا نعيش في نعمة بأننا نباشر الصَّلاة في المسجد، لكن اليوم في العالم كله أغلقت المساجد وأماكن العبادة والنُّسك للحفاظ على صحَّة النَّاس، ومن جهة أخرى لنبادر في بيوتنا ليصلي الواحد في أولاده ويذكرهم بالله عزَّ وجلّ وهذه فرصة أن نراجع حالنا وزماننا ومرحلتنا فهنالك بعض الأوقات تدفع بالإنسان أن يعيد التَّفكير، وعلى كلّ إنسان أن يدرك أنَّ أساس المرض هو التقاء النَّاس وتجمُّعهم، فعلينا أن نتفهم الأمر ونعيش معه بحسِّ من المسؤوليَّة.

سؤال: إنَّنا نقرأ في الفقه الإسلامي أنَّ صلاة الجنازة غير مقرونة بالصَّلوات المفروضة، والبعض الآن يحارون كيف سنصلِّي صلاتنا على الميت؟

صلاة الجنازة غير مرتبطة بالفروض، في بعض بلدان المسلمين يصلُّون في المدافن، حتى في العهد النَّبوي كان يوجد مكان للجنائز وكان النَّبيّ يصلي في مكان، وصلاة الجنازة تقام في مكان آخر، لكن الأعراف تختلف من بلد إلى بلد، وفي بعض البلدان هناك مساكن بعيدة عن المسجد للَّذين يخدمونها، لكن عندنا قدَّر الله أن تكون في نفس موقع المسجد، فهي أعراف تختلف من بلد إلى آخر، وفي بعض البلدان درس الجمعة يقام بعد صلاة الجمعة، بينما عندنا نقيمها قبل الجمعة، فصلاة الجنازة الأصل أنها غير مرتبطة بوقت أداء الفريضة وقد يصليها الإنسان في أيّ مكان، الخلاصة أنَّنا نمرّ بظرف قد اكتسح العالم ، فإما أن نكون على قدر المسؤولية فنتعاطى مع الأمر بمسؤولية ليتم معالجته في مدة محدَّدة، أو كما يقال يزيد ويتَّسع الخرق على الراقع فيخرج الوضع لا قدَّر الله عن السَّيطرة، ونحن نرى نماذج أمامنا، فهناك دول أعلنت وصرَّحت ورتَّبت أمورها بمسؤولية عالية وهي الآن تحتفل أنَّها تعافت من الأزمة، وبعض البلدان قد أخذوا الأمر بنوع من السُّخرية والتهكم فزاد فيهم الدّاء لدرجة مؤذية جداً، ونحن ولله الحمد شعب مثقف واعٍ متعلم، وقد رأينا نماذج متميزة في مواقع المسؤولية قد قدموا لنا حلولاً وإجراءات، ما علينا إلا أن نأخذ بها قدر الإمكان ونسأل الله تعالى أن يدفع الشَّر والضُّر والبلاء والغلاء ويجعل بلادنا آمنة مطمئنة وسائر ديار المسلمين ويعجِّل بالهدايات في العالم.

مداخلة: حتى واجب العزاء لا يجب أن أذهب إلى بيت العزاء

بـل أسـتطيع أن أعـزي عـن طريـق الهاتـف.

في هـذه الظـروف عـلى النَّـاس أن تعـذر بعضهـا، وقـد كان لدينـا ترتيـب مـع ضيـوف في ملتقـى وحصـل هـذا الأمـر فضيوفنـا تفهَّمـوا وسـارعوا بإيجـاد حجـوزات ليرجعـوا إلى بلادهـم، وأغلـب الزِّيـارات كانـت لمشـايخنا وعلمائنـا فاعتذرنـا حتـى لا نسبِّب لهـم حرجاً في المصافحـة والسَّـلام، فعـلى المـرء أن يكـون عـلى قـدر مـن المسـؤولية، وهـي مرحلـة وسـتمر بـإذن الله.

سـؤال من مسـتمع: هنـاك مسـألة منتشرة بـين الناس وهي السُّـخرية والنّكـت، فـما نصيحتكـم في ذلـك؟

طبيعـة مجتمعنـا أنَّـه مجتمـع سـاخر ويحـب الكاريكاتـور والقصـص، ولكـن هنـاك قضايـا علينـا أن ننتبـه لهـا خصوصـاً أنَّ بعـض الأشـياء قـد تكـون رسـالة تأديـب أو عنـوان تخويـف أو مظهـراً مـن مظاهـر القـدرة، فعـلى الإنسـان أن يكـون عاقـلاً ليتعاطـى مـع الأمـور بحكمـة، فالرَّسـول عليـه الصَّـلاة والسـلام كان شـأنه دائـماً شـأن العبوديَّـة المحضـة، ففـي الكسـوف والخسـوف كان النَّبـي ﷺ يخـرج يجـرّ رداءه كأنَّ السـاعة أقيمـت لا يكلمـه أحـد فيصـلي ويركـع ويسـجد وفي بعضهـا يسـمعوا بـكاءه[1] لأنـه متوجـه إلى الله عـزو جـل دائـماً بـالأدب والعبوديـة ينـادي ويناجـي ربّـه كـما هـو حـال الأنبيـاء ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعـراف: ٢٣]، وسـيدنا يونـس حينـما كان في بطـن الحـوت

(١) انظر: «صحيح البخاري»، (١٠٤٠). و«سنن أبي داود»، (١١٧٧).

دعا ربه: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وإن أفضل ما يفزع إليه الإنسان في هذه الظروف هو ذكر الله عزَّ وجل، فيتوجه إلى الله باسمه اللَّطيف ويتوجَّه بآيات الاستغفار والتوبة.

ومن آداب الاستسقاء إذا مُنع المطر هو أن نصوم ونصلِّي، فيدعو ولي الأمر ومن له الرِّعاية في مسؤولية الشَّعب النَّاس إلى الصِّيام والصَّدقات والتضرُّع إلى الله والتخفُّف من الآثام، ويجب أن يكون هذا حال الإنسان دائماً، وهكذا يخرج النَّاس في أرثٍّ ثيابهم إذا أرادوا أن يصلُّوا الاستسقاء ويقلبون ثيابهم عنواناً للفاقة والفقر إلى الحقّ سبحانه وتعالى، وبعضهم يجتهد في استجلاب الطّاعات والأدعية التي ترفع البلاء، فقد ورد في كتاب «الإتحاف»، لابن أبي ضياف قصة وقد تم تمثيلها في مسلسل تلفزيوني، وهي: حينما وقع في تونس وباء الكوليرا وكانوا يطلقون عليه اسم: «الريح الأصفر»، قد جاءهم من الهند، وحينما اشتدَّ الوباء أشار عليهم قاضٍ من قضاة الحنفيَّة واسمه مصطفى بيرم وكان لديه اعتقاد عظيم ببركة أشراف آل البيت، فطلب منهم أن يجمعوا أربعين شريفاً من آل البيت اسمهم محمَّد يجتمعون بالجامع الأعظم ويقرؤون سورة يس أربعين مرَّة ثم يدعون بدعوات ففعلوا فتراجعت الشدَّة ونقص عدد الموتى[1].

(١) انظر: «إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان»، لأحمد بن أبي الضياف، (ص١٢٨).

معنى هذا أن هناك اجتهادات في العبودية، فليت كل عائلة تختم ختمة وكلّ بيت يستغفر آلافاً من الاستغفارات ولو أكثرنا من الصَّدقات، واجتمعنا على صيام يوم، وتوجّه فيه الكلّ ساعة الإفطار بالدعاء: (ربّ ارفع مقتك وسخطك عنّا، يا رب إن لم يكن بك علينا غضب فلا نبالي، يا ربّ ارفع البلاء والغلاء والأمراض والأسقام والظلم عنّا، يا رب ارفع عنّا هذه الأزمة) قد وعدنا الله عزَّ وجل بحلول ومخارج إذا نحن تضرَّعنا واستغفرنا، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢]، وفي الحديث عن النَّبيّ عليه الصَّلاة والسلام: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب»[1]، ليتنا ندعو إلى إطلاق ملياريه الاستغفار، فالآن الأولاد في عطل والنَّاس ماكثين في البيوت والحركة قد خفَّت، ولدينا الكثير من الوقت للذِّكر، فبدلاً من أن ينشغل البعض بالسُّخرية أو الاستهزاء وتضييع الوقت ومشاهدة ما يزيد القلق والكآبة فليجعل الإنسان حاله حال الذاكر والمتقرِّب من الله عزَّ وجل، عندها سنرى حلولاً كبيرة وكثيرة، ليت ثقافتنا تصبح ثقافة الذِّكر والإلحاح على الله عزَّ وجلّ واللُّجوء إليه.

ونذكر هنا قصة لشيخنا الشيخ زكريا القضاة فقال لنا: اشتبهوا عند زيارتي للمستشفى وتشخيصهم لي بمرض السرطان ففزعتُ إلى الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وفي أقل من عشرة أيام صلّيتُ على النبي ﷺ أكثر من مئة ألف مرة، فعندما ذهبت إلى

(١) «سنن أبي داود»، (١٥١٨).

المراجعة قالوا لي: ليس بك شيء ولم يجدوا أثراً للمرض الخبيث. فأعظم ما يُستدفع به البلاء الصلاة والسلام على رسول الله، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣].

مداخلة: نرجو تنبيه الأهل لأولادهم والجلوس معهم في حلقات وجلسات ذكر بدل الخروج إلى الطرقات باستهتار، وخطورة اللجوء إلى السُّخرية والاستهزاء بالأمر والأزمة التي نعيشها.

موضوع الأهل موضوع مهم ، فالدَّولة عندما اتَّخذت هذا الإجراء بتعطيل المدارس ليس لحرمانهم من الدِّراسة، وهذا الطفل يجب أن يكون له برنامجه في البيت ويكون الأهل على قدر من المسؤولية فنشغل وقت الأولاد بالمناسب لهم، فعلينا أن نملأ أوقاتهم بالمفيد، فمثلاً لدينا منهاج تعليمي، علينا أن نستكمله بحسب المتاح من الثقافة والدّراية في البيت، وهناك وسائل كثيرة اليوم كالدروس التي يبثونها على القنوات، نستطيع أن نضع لهم برامج هادفة بالإضافة إلى رياضة الصَّباح وأن يتنفسوا التنفُّس الصَّحيح وأن يتناولوا الفطور الصِّحي، أيضاً البرنامج الإيماني، لابد لنا من أن نضع لهم برنامجاً مناسباً، فأماكن الترفيه والأماكن العامة ومراكز التعليم مغلقة، وأعلم أنّ هذا ثقيل على الأهل خاصة أنّ ليس كل الَّسيدات على مستوى ثقافي لمتابعة الأولاد في المنزل، لذا نتكلم عن الحد الأدنى على الأقل في إدارة الوقت المناسب، فهم أمانة عندنا في البيوت قبل المدرسة، فوجب علينا أن ندير أوقاتهم وبرامجهم، وأن نجعل لهم برنامجاً استثنائياً على

الصَّعيد الصِّحي والثقافي والنفسي والمجتمعي والفكري، وإن احتجنا فبمساعدة التربويين، وهذا يساعدنا جميعاً على وقف الإشاعة، لأنَّ الإنسان المتفرغ والثَّرثار هو من ينقل الإشاعة، فإذا انشغل الإنسان بالنافع والمفيد لم يجد فراغاً لمتابعة أو اختلاق الأمور غير النافعة.

وهناك أيضاً قراءة الكتب أو الرِّوايات النافعة وعمل ختمات قرآنية، وترتيب برنامج لتحفيظ القرآن، وكما يقول بعض الصوفية: هذه خلوة جاءتنا من الله عز و جل. فلنغتنمها.

سؤال: يشيع البعض أن هذه لعبة سياسيَّة أو اقتصادية وما إلى غير ذلك من الكلام، ما هو المطلوب منهم في هذه الظروف والأحوال؟

جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «البيِّنة على من ادَّعى واليمين على من أنكر»[1]، علينا احترام الكلام المتخصِّص ولا شك أنَّ هناك عقلاء لهم دراسة فيما يصدر عن مراكز ومطابخ القرار في العالم لا بأس أن نقرأه ونطَّلع عليه إن كان وراء هذا ما وراءه. لكن مشكلة أنَّ هؤلاء المتكلمين كمن يرمي بالمجَّان لا هو مطَّلع ولا قارئ، ويتجاوز بكلامه المرحلة التي نحن فيها والدَّور الذي عليه، نحن الآن نعيش أزمة، ما هو سببها وإلى أين تتجه وما هو القادم معها؟ لانعرف على سبيل اليقين، فهل ثمَّة شيء مقروء أو مكتوب أو مدروس ممكن أن نطلع عليه؟ المهم الآن كيف سنتعامل مع ما نحن أمامه من أزمة صحية؟ هذا هو المطلوب.

(١) «سنن الدارقطني»، (٣١٩١)، و«السنن الكبرى»، للبيهقي، (١٦٤٤٥).

أنت كداعية وعالم أو متنوِّر في الخطاب الديني وحركة الوعي في الشعوب من المفروض أن تقدم خطاباً على مستوى العصر، من الجميل أن نقرأ بحثاً عن تاريخ الأوبئة في الأمَّة الإسلاميَّة وكيفية التعامل معها لنفهمه كطاعون شيرويه وطاعون عمواس وطاعون الجارف في زمن الزبير ووباء اسمه الفتيات أو الأشراف [1] وهناك من قال أن في المرحلة العباسيَّة جاءت أوبئة، فلنقرأ عنها، ونعلم كيف ووجهت وعولجت، أين باحثينا وعلماءنا ودعاتنا؟

ولنا في مراسلات سيّدنا عمر بن الخطاب وسيدنا أبو عبيدة ذوق وفقه ووعي. حينما قال له أبو عبيدة بن الجراح: «يا أمير المؤمنين! أفراراً من قدر الله؟ قال: نعم، نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله»[2].

لدينا جملة ملابسات وأسئلة، ففي بعض الأحاديث أن هذا الطاعون بقية من عذاب الأمم السابقة، قال ﷺ: «إن هذا

(١) قال أبو الحسن المدايني: «الطَّواعين المشهورة العظام فى الاسلام خمسة: (طاعون شيرويه) بالمدائن فى عهد رسول الله ﷺ سنة ست من الهجرة، ثم: (طاعون عمواس) فى عهد عمر بن الخطاب بالشَّام سنة ثمان عشرة مات فيه خمسة وعشرون ألفاً منهم أبو عبيدة بن الجرّاح ومعاذ بن جبل وعن الحارث ابن عمير قال: طعن معاذ وأبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة وأبو مالك الأشعري فى يوم واحد، ثم: (طاعون الجَّارف) فى زمن ابن الزبير، ثم: (طاعون الفتيات) فى شوّال سنة سبع وثمانين سمِّى طاعون الفتيات لأنه بدأ فى العذارى بالبصرة وواسط والشام والكوفة ويقال له طاعون الأشراف، ثم: (طاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة) فى رجب واشتدّ فى رمضان فكان يحصى فى سكة المريد فى كل يوم ألف جنازة ثم خف فى شوّال وكان بالكوفة طاعون سنة خمسين وفيه توفي المغيرة بن شعبة»، «تاريخ الخميس في أحوال أنفس النَّفيس»، (٢/ ٣٠٤).

(٢) «السِّيرة النَّبوية وأخبار الخلفاء»، لابن حبَّان، (٢/ ٤٧٥).

الوجع عذاب عذِّب به من كان قبلكم»[١]، وآخر يقول أنه شهادة للأمة المحمدية، قال النبي ﷺ: الشهداء خمسة: «المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله»[٢]، وفي حديث آخر أنه من وخز الجن، قال ﷺ: «فناء أمتي بالطعن والطاعون، فقيل: يا رسول الله، هذا الطعن قد عرفناه، فما الطاعون؟ قال: وخز أعدائكم من الجن وفي كل شهداء»[٣].

نحن بحاجة إلى الدِّراسات، وها نحن نرى أهل الصِّحة والمختبرات يطورون في مختبراتهم، لكن لا بد للعلماء والدعاة من إيجاد مادَّة متخصِّصة نبحث فيها كيف تعاملت الأمم المسلمة السابقة مع الأوبئة، وكيف تعامل النَّاس معها في زمن النَّبيّ ﷺ.

من الجميل أن الكثير من الحلول الوقائية المعاصرة لهذا المرض المعاصر الآن يطبقه المتدينون بداهةً، فنحن نتوضأ خمس مرَّات في اليوم، ومن السُّنة غسل الأيدي قبل وبعد الأكل وبعد الاستيقاظ، والمحجبات من النِّساء يتلثمن من الغبار، وفي البادية يغطون رؤوسهم، فمن طبيعة إخواننا في بعض الأرياف والبادية أنهم يتلثمون ويغطون الرؤوس، فالوقاية موجودة في ثقافة وعادات الناس، أذكر أن جداتنا كنَّ يحرقن أعواد الميرمية بعد طبخ اللُّحوم، وكنَّ يقُلن أنَّ الزهومة - أي الروائح النتنة- تستجلب أموراً غير محبَّبة، وكان الرسول ﷺ

(١) «صحيح ابن حبان»، (٢٩١٢).
(٢) «صحيح البخاري»، (٢٨٢٩).
(٣) «مسند أحمد»، (١٩٥٢٨).

يستجمر في كلِّ ليلة، ويجمِّر المسجد الشريف يوم الجمعة وليلتها، وعندنا في عُمان والخليج يبخِّرون باللُّبان المُرّ الذي يقال أنَّه معقِّم ومضاد للفيروسات والبكتيريا، ويرشحونه للأطفال في أوَّل موسم الشتاء للوقاية من الأمراض، فنحن بحكم ارتباطنا بهويّتنا وديننا نتعاطى شؤون الصِّحة العامة والسَّلامة والوقاية، لكننا بحاجة لأن ينفر نفر من أصحاب الذَّكاء والخبرة والاختصاص فيصنِّعوا لنا مضادات الفيروسات والأوبئة الطارئة، وأنا أثق أن في أمّتنا وشبابنا وأجيالنا أصحاب الأهليَّة لذلك.

وجزى الله خيراً كلَّ من أوجد حلولاً لهذه المشكلة، وأسأل الله أن يتولى من كان سبباً في نشرها سواءً علمنا أم لم نعلم، هل كان هذا بتساهُلٍ أم أنَّه نتيجة دراسات خاطئة، أم هو نتيجة إهمال؟ الكثير من الأوبئة تأتي من الحيوانات وقد سمعنا أن هذا الوباء جاءنا من نوع من طيور الخفاش، لكننا كمسلمين لنا في مأكلنا ما أحلَّه الله لنا وهو ما فيه الخير والعافية، وحرَّم علينا كلّ خبيث ومؤذٍ وغير طيب.

في بطن الحوت[1]

قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، إنَّ في هذه الأية ملحظ عجيب، وهو النَّمط الأكمل في العنصر الإنساني وهم الأنبياء قد قدَّر الله سبحانه وتعالى عليهم ما قدَّر من الأعراض والأمراض، وجعله في حق الأنبياء جائز كما هو مقرر في العقائد الإسلامية، لكن انظر إلى أدب الأنبياء، فالله عزَّ وجل قد حرَّك الطوفان من أجل سيِّدنا نوح ومن معه من العصبة المؤمنة، ومن كلٍّ خلق زوجين اثنين على ذات ألواحٍ ودُسُر، فالماء قد انهمر والسَّماء فُتِحَت والأرض تشقَّقت، كما في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [هود: ٤٤]، منظر عجيب، لكنَّ الله تعالى نجّاه، قال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: ١٣]، وسيدنا أيوب قد عانى ما عاناه من المرض وقد قال تعالى فيه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، وسيدنا يونس قد خرج في القارب مع الذين كانو معه، ثم ماذا كان حاله وهو في بطن الحوت؟ قد أطبق عليه المحيط، وفي البحر وعتمته في جوف ذاك المخلوق لم يكن ليسمعه أو يدركه أحد، لكنه توجَّه إلى المُكرم والمُنعم سبحانه وتعالى فقال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فتداركته رحمة الله عزَّ وجل، ولما نبذه الحوت أنبت الله عليه شجرةً من يقطين وهذا

(١) أصل هذه المادة لقاء مباشر عبر الفيسبوك أثناء جائحة الكورونا والحظر الشامل، بتاريخ ٣٠/ ٣/ ٢٠٢٠م.

مـن آثـار مـا حصـل معـه، وبعـض النَّـاس الآن يتعـدَّى تفكـيره الأزمـة إلى مـا بعدهـا وهـو في خـوف شـديد، فأيـن الله مـن هـؤلاء؟ نحـن معنـا الله سـبحانه وتعـالى، وواسـطتنا الحبيـب المقـرب ﷺ.

قـرأت في بعـض تقاريـر منظمـة الصِّحـة العالميـة أنَّ هنـاك فـرق بـين الأمـراض المتوطِّنـة بجغرافيـا محـدودة وأرض معينـة لا تخـرج عنهـا مثـل أن البلهارسـيا أو الكولـيرا التـي لا تخـرج عـن البلـد نفسـه، وذلـك مـن آثـار تلوُّثـات أو تلوُّنـات معينـة في المنـاخ وفي المـزاج، وهنالـك أمـراض أعـلى مـن المتوطِّنـة وهـي مـا تسـمَّى بـ«الوبـاء»، فالوبـاء يكـون في إقليـم أوجهـة مـن جهـات العـالم، أمـا إذا ارتفعـت درجـة خطورتـه وانتـشر عالميـاً فيسـمى بـ«الجائِحـة»، وكأن هـذه التَّسـميات ليسـت عبثيـة، والآن قـد وصَّفـوا العـالم بأنـه يعيـش أمـام جائِحـة، فكيـف ينظـر المسـلم إلى هـذه الجائِحـة؟ وكيـف ينظـر المؤمـن إلى الجائحـة؟ وكيـف ينظـر المحسِـن الـذي هاجـر إلى مـولاه وانخلـع عـن رِق الآثـار ولم يعـد يـرى ظـلّ الأغيـار إلى الجائِحـة ويتعامـل معهـا؟

إنَّ مرتبـة الإسـلام تضفـي عـلى الإنسـان معـاني، ومرتبـة الإيـمان تضفـي عـلى الإنسـان معـاني، ومرتبـة الإحسـان تضفـي عـلى الإنسـان معـاني، وإنَّ مـن سُـنَّة الله عـزَّ وجـل في هـذا الوجـود الـذي خلقـه أن يوجِـد نوعـاً مـن التَّصفيـات والتَّربيـات والتَّرقيـات، قـال سـبحانه وتعـالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقـرة: ١٥٥]، قـد بـيّن الله عـزّ وجـلّ لنـا هـذا البرنامـج

والمنهاج، فيا ترى كيف يتعامل الإنسان مع خوفِه وعلَلِه ونقائِصه ونقائِضه وأكداره وأقداره؟ يعيش أهل العالم الآن حالة مشتركة وهم ينظرون إلى هذه الجائِحة، لكن كيف نتعامل مع هذه الحالة؟

قال رسول الله ﷺ في حقِّ المؤمن: « من سرَّته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن»[1]، إذن حالة المؤمن أنه إذا فعل حسنة يفرح بها لأنها منَّة ونعمة من الله عليه والله قد وفَّقه لها، وإذا فعل سيئة يخاف من الخذلان، وقال رسول الله ﷺ أيضاً في وصف المؤمن : «إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً له»[2]، فوصف الإيمان أنه حالة يُطبَع فيها الإنسان، وهي تختلف عن حالة الإسلام، وكذلك حالة الإحسان تختلف عن حالة الإيمان، فهذه فرصة للإنسان وهو يعيش هذه الأجواء أن يبحث عن نفسه في مشاهِده وشواهِده ونظره وإدراكه وسمعه وتعاطيه وتفاعله مع كل ما يحصُل في هذا العالم، هل يحصل شيء في هذا العالم لا يريده الله؟ سواء كان ما وقع وحصل مُصنَّع أم غير مُصنَّع، مبَرمج وممنهج ومخرج بفعلة فاعل أم غير ذلك، وسواء كان هذا متجنّد لشرق أو غرب أو لمظهر علوي أو مظهر دنيوي، لا يخرج شيء عن إرادة الله، وقد كان شيخنا ومولانا الحبيب أبو بكر المشهور يقول: «الحصيف يحفظ لسانه عند التَّوصيف »، فما دام لم تتشكَّل لدينا المقدِّمات والمعالم التي نسبرُ فيها أسباب ومظاهِر هذه الجائحة لا

(١) «السّنن الكبرى للنَّسائي»، (٩١٧٩). و«سنن التّرمذي»، (٢١٦٥).
(٢) «صحيح مسلم»، (٦٤) (٢٩٩٩).

نستطيع أن نبالغ في التَّوصيف ونعقِّد قضيَّة تعقدت تركيبتها، وإنما الواقع الذي نعيشه فِقه الحال والحالة، فقه الوقت واللَّحظة والزَّمن، كيف نعايش هذه اللَّحظات على المستوى الذَّاتي؟

قال بعض الصالحين: «مقامك حيث أقامك»، فالله تعالى قد أقامنا الآن في تخفيف التَّجمُّعات وترك مسافة بين الأشخاص، وعدم الخروج إلاّ للحاجات الضرورية والالتزامات المهمة، وكل إنسان من حيث مقامه ودوره يفتح الله له الأبواب، واليوم مع التُّكنولوجيا ووسائل التَّواصل أدَّت إلى تخفيف وطئة الأزمات لدى النّاس، لكن لا يعني ذلك أن يتحوَّل الإنسان إلى آلي في جميع وقته، بل عليه أن يعيش لحظات بالذِكر والصَّفاء والأُنس، وقد يقول النَّاس أن هذه أيام حظر، وأنا أقول: ليست حظر بل حضرة.

قد عاش الناس أياماً بحلوها ومرِّها وشدَّتها ورخائها، وجميل الآن أن نغتنم هذا الوقت بإنجاز ختمات قرآنية ورفع مستوى الذِّكر، بعض الناس ختموا كتباً علمية واكتسبوا لغات جديدة وحصلوا تقنيات ومهارات في تخصصاتهم، فالعالم أصبح فضاءً مفتوحاً، وقد سمعت عبارة قديمة منذ خمس وعشرون سنة من أستاذي في ملتقى عالمي عُقد في أمريكا الجنوبية بجمهورية تشيلي ضمن دورة تسمى (إدارة التَّجمعات الكبرى)، وكان عدد الحضور ثلاثين ألف مشارك، حيث قال: «الظُّروف تكيِّفنا ولا تتلفنا»، فعلى الإنسان أن يكون دائماً مرناً، أي: يعيش اللَّحظة بمقتضياتها ويعمل بموجبها ولو كانت لحظة شدَّة أو

بلاء، وفي حديث رسول الله ﷺ في مثل هذه الأزمان عندما سأله أحد الصحابة عن النجاة قال: «أمسك عليك لسانك وليَسعُكَ بيتُك وابكِ على خطيئتك»[1]، أي: يشتغل الإنسان بالتوبة والاستغفار، قال الشعراني ناقلاً عن الإمام علي الخواص: «من استغفر ألفاً صباحاً وألفاً مساءً رفع عنه البلاء». فهذه الجوائِح والنوائِح والبوائح يجب أن تكون سبباً لزيادة الإيمان واليقين لدى الإنسان لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]، فيزداد الإنسان إيماناً وتضرُّعاً وتوجُّهاً وإنابة، فيراجع دفاتره وعناوينه وملفاته، كتبنا الله من أهل الزِّيادة واليقين، فأعظم ما نزل من السَّماء إلى الأرض هو اليقين، وإنَّ ما قُدِّر يكون، فهذا العالم كله شؤون وهذه الحوادث لها محدِثها، والعالم كله بيد الله سبحانه وتعالى، نسمع ليلاً ونهاراً تحليلات ما بعد الكورونا وما قبلها، فهل نسينا الله، وأين هو؟! فالله موجود وحاضِر وفعال لما يريد، وهذا الكون كله كونه والسماء والأرض ملكه، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، فمهما حلَّلنا وعلَّلنا وبرَّرنا علينا أن نعلم أنّ الأمر كله بيد الله وإلى الله، فلا بد من أن نزداد يقيناً وثباتاً ورسوخاً وإيماناً ونحن واقفين على أبواب قَدَرِه سبحانه، من يُجري القهر ومعه اللُّطف، فأسماؤه فعَّالة ومحرِّكة لهذا الوجود، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

كان الشَّيخ عبد القادر العاني يقول للناس في وقت الشدائد والهموم: «يا أولادي ستكون هذه في ما بعد سوالف»، أي: ستزول

(١) انظر: «المعجم الأوسط»، للطبراني، (٥٧٩٩).

الشِّدة وتصبح ذكريات، فسيأتي وقت ونقول فيه: قد حصل في أيام الكورونا حصل، فعلى الإنسان ألاّ ينفعل إلى درجة تضيع معها ثوابته، وفي الكلام في الثوابت في زمن المتغيرات نقول أنَّ الأمة المسلمة قد عرفت الكثير من مثل هذه الجائِحة، سواء في سنة ستة أو سبعة للهجرة حيث حدث طاعون كبير وقد أرَّخوا بالطواعين، منها طاعون (شيرويه) وهذا حصل في فارس لكن لم يصب فيه المسلمين، والأكبر منه كان طاعون عمواس عندنا في الأردن وفلسطين وسوريا ولبنان (بلاد الشَّام)، وقد انتقل فيه أكثر من خمسة وعشرون ألفاً، منهم معاذ بن جبل وأمين الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح، ثم حصل في زمن ابن الزُّبير طاعون الجارف، وبعده طاعون (الفتيات)وسماه بعضهم: (الأشراف)[1]، وقد ألّف الإمام السِّيوطي جزءاً في الطَّاعون، وللإمام المحدث ابن حجر العسقلاني رِسالة لطيفة اسمها: «بذل الماعون في فضل الطَّاعون»، وسمى بعض الصَّحابة الطاعون بالموت الرَّفيق، وذلك لأنه منزلة من منازل الشهادة كما بشر النبي ﷺ[2]، كانوا مطمئنين لا يشبهون الخوف والذُّعر الذي تعيشه النَّاس الآن، صحيح أن الإنسان قد يخاف، لكن الخوف الطبيعي الشَّرعي الذي يجعل الإنسان يفرُّ إلى الله وليس من الله عزوجل، الخوف الذي لا يشغله عن دوره وواجبه، بل يدفعه إلى القيام بمسؤولياته على الوجه الذي يرضي ربّه ويسهم في تخفيف الأزمة ومساعدة الناس، وكما

(١) ذكرنا في المقال السابق عن الطواعين التي حصلت في تاريخنا الإسلامي فلتراجع.
(٢) قال رسول الله ﷺ: «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله»، «صحيح البخاري»، (٢٨٢٩).

أن هنـاك دور للقيـادات السِياسـية والصِّحيـة والشَّـبابية، يوجـد دور أيضـاً للقيـادات الرُّوحيـة والعلميـة في الأمـة مثـل المشـايخ والعلـماء والذيـن لهـم أدواراً مجتمعيـة شـعبية، وفي معهدنـا المعـارج انتقلنـا مـذ بـدت الأزمـة إلى العمـل الإلكـتروني، ونشـكر جميـع مـن سـاهم في ذلـك، فـكان هنـاك دروس عـبر المنصـات والغـرف الإلكترونيـة المبـاشرة في تعليـم الطـلاب، وهـذا مـن المحافظـة عـلى الثوابـت.

أتمنـى أن يكـون لنـا دور في إغاثـة النَّـاس وتخفيـف حـدَّة التَّوتـر عـلى مسـتوى وطننـا وبلداننـا ومجتمعاتنـا، لا نريـد أن نكـون سـبباً في مشـكلة، أو أن ننتقـل بسـب الخـوف إلى أزمـات أخـرى أكثـر تعقيـداً، فـلا بـدَّ لنـا مـن أن نسـهِم في التكافـل والتَّـآزر والتَّعـاون وأن نخفِّـف حـدة الأزمـة، وكـما ذكـرتُ فـإنَّ للمسـلم نظـرة ومشـهد، وللمؤمـن نظـرة ومشـهد، وللمحسـن نظـرة ومشـهد، فهـذه فرصـة لمراجعـة الملفَّـات، فكـم تمنينـا أن نختـلي فنجلـس ونتأمـل، وهـذه فرصـة لـكل صاحـب صنعـة وحرفـة بـأن يجـدِّد برامجـه وأمـوره ويراجـع مسـاراته وقراراتـه ونسـأل الله للجميـع التَّوفيـق والفائـدة والمـدد والسَّـعادة بـإذن الله سـبحانه وتعـالى.

لـو كلّ واحـد منـا أدى مـا عليـه مـن حقـوق وقـدَّم مـا تُسـتنزل بـه الرَّحمـة، ففـي قصـة أصحـاب الغـار الذيـن أطبقـت عليهـم الصَّخـرة أصبـح كل واحِـد منهـم يتوجـه إلى الله بعمـل لـه، وبذلـك انفكـت عنهم الصَّخـرة[1]،

(١) انظـر قصـة الصخـرة والثلاثـة نفـر وتوسـلهم بالعمـل الصالـح في «صحيـح البخـاري»، (٢٣٣٣)، و«صحيـح مسـلم»، (٢٧٤٣).

فلنتوجه إلى الله بالعمل الصَّالح كالصدقات وتفقُّد الأهل والجيران والرَّحم وزيادة العبادات، فلربما فرج الله عنا بذلك.

وفرصة لنا في هذه الأيام أن نعمل على زيادة المناعة الجسمية عبر الغذاء الصحي المتوازن والابتعاد عن السُّكريات والمأكولات الضارة كالمشروبات الغازية والتَّدخين، فممَّا قاله بعض الأطباء أن الله تعالى قد جعل في كل إنسان ميزان، وإن أخطر شيء في هذا الزَّمن هو طغيان الميزان، قال تعالى: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرحمن: ٨]، فكل إنسان لديه أنزيمات وهرمونات ومعادن في جسمه تحافظ على قوة الجسم ومناعته ومقاومته للأمراض، فإذا تناول الإنسان أطعمة ضارة لن يؤدِّي جسمه وظيفته كما ينبغي، وكذلك علينا بموازنة أجسامنا بالأغذية التي أوصى بها الرَّسول ﷺ كالحبة السَّوداء والعسل والتمر، فقد أثبتت الدراسات فعاليتها الكبيرة في الوقاية والعلاج من الأمراض.

وكذلك أولادنا الذين اعتادوا على نمط حياة فيها رفاهية نقول: اخشوشنوا فإن النِّعم لا تدوم[1]، ولنعش مع العالم في ظرفه ونشعر بالناس، كان شيخنا الحبيب زين عند مائِدة الطعام يضع يده على جهة الكبد ويقول: «كم من ذي كبد الآن جائع ولا يجد اللقمة»، فيعيش الإنسان شعوراً عاماً مع النَّاس ويتعلم ثقافة عيش الظروف بما تقتضيه من تقشف وتقلُّل وتبسُّط.

ونحتاج اليوم إلى عقليات ودراسات وأبحاث طبية، ولا تُعدَم

(١) ذكر بنحوه في «إحياء علوم الدين»، للإمام الغزالي، (١/ ٢٦٤).

الأمَّـة في شرقهـا وغربهـا مـن خُـبراء لـو أُعطـوا المجـال لأوجـدوا الأمصـال والمضـادات والعِلاجـات، وكـم نـرى في القنـوات والشَّاشـات أناسـاً في الأمـة مبرِّزيـن مـن علـماء وخـبراء، فلـو اجتمـع هـؤلاء وأسـهموا في تطويـر البحـث العلمـي بحيـث يوجـدوا لنـا منهجـاً اسـتباقياً واسـتشرافياً لمثـل هـذه الأزمـات.

إنَّ التجـلي في هـذه الأزمـة جـلالي، فـالله تعـالى لطيـف بعبـاده يجـري اللطـف مـع القهـر، ويبـاشر عبـاده بـشيء مـن جلالـه متنـزِّلاً مـع لطفـه، ونحـن مـن أمَّـة حبيبـه ﷺ قـد أبـرز لنـا جمالـه الحـق بحبيبـه فبعـث لنـا الحبيـب الرَّحمـة والنِّعمـة والقِسـمة ﷺ، فهـو كهـف الملهـوف ومـلاذ الفـزع المخـوف، فقـد كان الصحابـة يحتمـون بـه حـين الشـدة والبـأس[1]، نسـأل الله أن يـأذن لهـذه الأزمـة بالانحسـار والـزَّوال ويرينـا وجـه لطفـه سـبحانه وتعالى في مـا أجـراه.

(١) قـال البـراء: «كنَّـا والله إذا احمـرَّ البـأس نتقـي بـه، وإنَّ الشُّـجاع منَّـا للـذي يحـاذي بـه. يعنـي النبـي ﷺ»، «صحيح مسـلم»، (٧٩)(١٧٧٦).

الواقع وفقه التحوُّلات[1]

(فقه التَّحولات) أو(علم السَّاعة)[2]، أو أياً كان الاصطلاح فهذا العلم هو اجتهادات وارتباطات أُخِذت من جملة من الأحاديث والآيات، تتناول مسيرة المتغيِّرات الوارِدة في واقِع النَّاس وحياة المسلمين في منظومة تعايش العنصر الإنساني على هذه الأرض، ومرجع دراستنا وقرائتنا لهذه الوقائِع على ضوء ما نزل من كتاب الله سبحانه وتعالى وما ورد في سنة النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام؛ لأنّ الوحيين (الكِتاب والسُّنة) أقرب إلى عِلم الإحاطة، فالله سبحانه وتعالى اسمه المحيط وهو يُطلع من شاء على ما شاء كيف ما شاء، وهو الذي امتنَّ على النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام فقال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣]، بل وندب إلى نبيه ﷺ أن يدعوه فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[طه: ١١٤]، هذا العلم ليس

(١) أصل هذه المادة بثّ حواري نقاشي مباشر لكتاب: (مقالات في فقه التحولات)، للمؤلف حول الواقع وفقه التحولات عبر الفيسبوك أثناء أزمة وباء الكورونا بتاريخ ١٠/ ٤/ ٢٠٢٠م.

(٢) فقه التحولات بحسب تعريف الحبيب أبو بكر المشهور مبوِّب هذا العلم: هو الفهم الشَّرعي لما يقضي الله ويدبِّر في العالم الأزليّ لما جرى ويجري من سُنن التغيُّرات والمتغيِّرات في الحياة الإنسانيَّة والكونيَّة وما طرأ ويطرأ من مستجدَّات العلم النَّظري والتَّطبيقي والثَّقافة والحوادث والفتن في مراحل الحياة الإنسانيَّة عموماً ومراحل الأمَّة المحمَّدية خصوصاً إلى قيام السَّاعة وما تلاها من عالم الأبد والأمد والخلود، إمَّا على صفة القراءة الاستباقية للحوادث والوقائع وإمَّا على صفة القراءة الاستقرائية لتاريخ الأُمم والشُّعوب من مصادرها الأساسيَّة، القرآن والسُّنَّة. «النُّبذة الصُّغرى»، للمفكِّر الإسلامي الحبيب أبو بكر العدني ابن علي المشهور، ص١٨.

بعلم مستجَد ولا مستحدَث، بل بدأ منذ نزول الرِّسالة، وإنَّ الحقول المعرفيَّة الأساسيَّة والنُّصوص الاستدلالية الأولى لعِلم السَّاعة وفقه التَّحولات كانت في الثَّلاثة وعشرين سنة التي عاشها سيّدنا محمَّد ﷺ نبيّاً ورسولاً، والنّبي ﷺ في لغة فقه التَّحولات هو آخر من قدَّم حلاً لهذا العالم من السَّماء، وقد جاء بالإجابات على الأسئِلة الكبرى، فقدَّم الحلول للمشاكِل الكبيرة، وتبقى رسالته ودعوته قائِمة دائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومع حَجة الوداع وبعد أن اكتمل نزول القرآن الكريم، عاد سيِّدنا مُحمّد ﷺ إلى المدينة، وأنهى الحجّ في ذي الحجة من السَّنة العاشرة للهجرة، وعندها جاء جبريل عليه السلام إلى النَّبي ﷺ في صورة أعرابي شديد سواد الشَّعر شديد بياض الثِّياب والكل يعرف هذه الرِّواية التي تسمَّى بحديث (أم السُّنة)، وهو حديث جبريل ويعتبر الأساس في دِراستنا لهذا العِلم، ويمثِّل الموقع الذي أخذه هذا العِلم في زمن الرِّسالة، وهذا نصّه:

عن عبد الله بن عمر قال: حدَّثني أبي عمر بن الخطاب قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديدُ بياضِ الثياب، شديد سواد الشَّعر، لا يرى عليه أثر السَّفر ولا يعرفه منَّا أحد، حتى جلس إلى النَّبيّ ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفّيه على فخذيه وقال: يا محمَّد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله ﷺ، وتقيم

الصَّلاة، وتؤتي الزَّكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت، قال: فعجِبنا له يسأله ويصدِّقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرِّه، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنَّك تراه فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك. قال: فأخبرني عن السَّاعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السَّائل قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: أن تلد الأَمَةُ ربَّتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشَّاء يتطاولون في البنيان. قال: ثمَّ انطلق فلبثتُ مليّاً، ثم قال لي: يا عمر أتدري من السَّائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنَّه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[1].

لماذا قال النَّبي ﷺ: هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم؟

هذه الأسئِلة الأربع الأساسية التي سألها جبريل عليه السَّلام وأجاب عنها النَّبي ﷺ كأنّها هي المعالِم الرَّئيسية للدّين (الإسلام، الإيمان، الإحسان، السَّاعة وآماراتها)، فهذه الأسئلة تمثّل الفعَّالية التي جاء لأجلها الدِّين، وكأنَّ تلك الثلاث وعشرين سنة في مفرداتها وتفاصيلها ترجع إلى هذه الأربعة، وقد نعبِّر عنها بالثَّوابت والمتغيرات، ونقصد بالثوابت: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وهي متعلقة بمراتب الدِّين من الفِقه والعقائِد والسُّلوك، وتتعلَّق بفعالية وكيان وحركة الإنسان، والمتغيرات: وهي التي عبِّر عنها بالأمارات، وعرض هذا

(١) «صحيح مسلم»، (٨).

الحديث لأمارتين، وهذا محل تساؤل وتدبُّر وتعقُّل.

من خلال هذا الحديث ندرك أن ثمَّة وحدة شرعية لتلك المواضيع: أي أنَّ التَّلقي لهذه الأسئلة الأربعة مقترن، وثمة وحدة موضوعية أيضاً، أي أن سِياق الأسئِلة والزَّمن جاءت تشير إلى أنّ الأربعة متصلة، فلماذا حصل عندنا فصل غير متعمد وغير مقصود بأن اشتغلت الأمة عبر المذاهِب الفقهية على الإسلام، واشتغلت في المذاهِب العقائِدية على خدمة مسألة الإيمان، وفي الطَّرائِق الرُّوحية على خدمة مسألة الإحسان؟

أعتقد لأن الأمة في مسيرة نشاطها وبرامجها وقرارها غير محتاجة لأن تخوض في تفاصِيل المتغيرات وعلم السَّاعة؛ لأنّها كانت في مأمن ولم تدخل بعدُ إلى مكمن الخطر فلم يكن ثمَّة حاجة حقيقية للتناول العميق والهيكلي لهذا العِلم المتعلق بالمتغيرات، نعم كان العلماء عبر دواوين السُّنة وتفسير القرآن وحلقات العِلم يتناولون بعض شؤون هذا العِلم، وكان هناك صحابة وتابعين فقهاء في التَّحولات، فبقي هذا العِلم متداول ومتناول بشكل جزئي ومفرَّق ومتناثِر عبر علماء ومؤلفات.

وقد كثرت في الزَّمن الأخير والذي نعبِّر عنه بالعصر الغثائي القضايا في مربَّع المعرفة ومربَّع النَّهضة التي تحتاج أن نبحث: هل ثمَّة خِطاب يمثِّل مخزون احتياطي للأمة في وقت الطَّوارئ؟ وهل ثمَّة علامات في التَّحول أشار إليها النَّبي ﷺ لكي لا تنزلق أمَّته؟ وهل

ثمَّة مخارِج للسَّلامة؟ وهل يوجد علامات لهذه الطَّريق وأمارات لهذا المسار؟

قد جمع أستاذنا ومولانا الحبيب أبو بكر المشهور[1] الاصطلاحات النَّبوية والتَّعبيرات المحمدية للأزمات التي تقع للأمة في مراحلها، مثلاً: قال رسول الله ﷺ: «هلَكَةُ أُمَّتي على يَدَي غِلمةٍ»[2]، وفي رواية: «إنَّ فساد أُمَّتي على يد أُغيلمةٍ سُفهاء من قريش»[3]، هذا مصطلح، وممكن أن تسمى به مرحلة الأغيلمة المتصلة بإهلاك الأمة من داخلها، وهذه المصطلحات وغيرها جمعها شيخنا ورتبها ضمن باقات وخرج منها بخمسة علوم رئيسية تتناول فقه التَّحولات وهي:

١. فقه النَّواقض والنَّقائض ومضلات الفتن وأسباب الوقاية منها في الحكم والعلم والاقتصاد.

٢. فقه الإشارات والبشارات والنِّذارات وفقه الحصانات وشرف العدالة والسند.

٣. فقه مستجدَّات العلوم النظرية والتطبيقية والثقافات وما يخص الإعجاز العلمي والمعارف المتنوعة السَّلبية والإيجابية.

---

(١) قد ألَّف الحبيب أبو بكر العدني ابن علي المشهور حفظه الله في هذا العِلم أكثر من مئة وثمانين كتاباً مابين مخطوط ومطبوع، وقدَّم مجموعة من البرامج التِّلفزيونية وعشرات المحاضرات الفِكرية، وكانت له زيارات في مختلف أنحاء العالم، وقدَّم رسومات تشكيلية كي يشرح ويبسِّط هذا العِلم.

(٢) «صحيح البخاري»، (٧٠٥٨).

(٣) «صحيح ابن حبان»،(٦٧١٣).

٤. فقه الأشراط الكونية والملاحم.

٥. فقه الربط الشرعي بين الديانة والتاريخ[١].

وعندنا تجربة في معهد المعارِج والحوراء وبعض الدُّول التي زرناها وعقدنا فيها دورات بفقه التَّحولات؛ لكي نولِّد إطاراً منهجياً ومسلكاً مرجعياً عند مجموعة من الشَّباب والبنات فنسميهم: فقهاء التَّحول في الزَّمن المعاصِر. وبذلك ننتقل من القِراءة العابرة والملتقطة لبعض الأفكار والمسائِل إلى أن نصبح أصحاب منهجية متصلة بالوحي في النَّظر في الوقائِع والمتوقَّع.

لقد ترتبت هذه المصطلحات والمفاهِيم ضِمن هذه العلوم الخمسة، وقد هيكلها شيخنا وفرّعها وأصَّلها وبرمجها واستَدلّ عليها، فقام بعملية التَّأصيل المنهجي وضرب الأمثلة التَّطبيقية عبر كتابات متنوعة لمسائِل فقه التَّحولات، فأصبح عندنا أشبه بالكيان المعرفي المستقِل الواضِح والحقل النَّوعي الذي يمكن أن نتدارسه ونقف على أطرافه وحدوده وغاياته، والعلماء التَّقليديين لهم تعريفات للعلوم، مثلاً (الإبستمولوجيا) لها ترجمتين: ترجمة إنجليزية: معناها نظرية المعرفة، وترجمة فرنسية: معناها فلسفة العِلم، والمتّعاطي مع أي علم أو كيان معرفي يتَتبع مساره التَّاريخي وحركته وفعاليته وأدواره وأطواره ويضع سيناريوهات لمسار هذا العلم، فأين سيوصلنا وما الغرض منه وإلى ماذا سيؤدي؟

(١) «النبذة الصغرى»، للحبيب أبي بكر العدني ابن علي المشهور.

نجد أنَ ما يقع في هذا الواقِع بكل تفاصِيله وتناقضاته ليس بمستجد على أحاديث النُّبوة، وقد ذكر فيه النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام علامات وأمارات وأشراط وشؤون متنوعة من أمور السَّاعة بل وأوجد معها حلولاً لقضايا كثيرة.

قد وصَّف النَّبي ﷺ المراحِل، ولا شك ولا ريب أن وصف النَّبي ﷺ للمراحِل أدق وأعمق، حينما سمَّى النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام بعض المراحِل بفتنة الأحلاس، والأحلاس مفردها الحِلس وهو الثَّوب النَّاعِم، أو الأمر المتصل بصدر الإنسان[1]، وكأن النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام يشير إلى فتنة فيها نوع من التَّسلل إلى مواقِع القرار ومواقع السَّقف والمواقِع العليا في البيت الإسلامي وجسد الأمة المسلمة أو إنها فتن تعمل بأسلوب ناعِم، وهذا الأسلوب النَّاعِم فيه نوع من الاستدراج وقد يكون فيه نوع من المكر والخديعة، هذا يجعلنا ننظر في فتنة الأحلاس[2] وليس هو حِلس واحد وإنما أحلاس، والجمع يدل على أنها تتنوع وتتوزَّع في عدد من الجِهات والأقاليم والأماكن وتسهِم فيما تسهِم فيه من أزمة في بيت الأمة المسلمة.

ووصف النَّبي ﷺ بعض المراحِل المشكِلة بالتوسيد والإسناد فقال: «...إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر السَّاعة قال: وما تضيع الأمانة ؟

(١) انظر: «معالم السُّنن»، للخطّابي، (٤/ ٣٣٦).

(٢) عن عمير بن هانئ قال: «سمعت عبد الله بن عمر، يقول: كنا قعوداً عند رسول الله ﷺ، فذكر الفتن فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: يا رسول الله وما فتنة الأحلاس؟ قال: هي هرب وحرب»، «سنن أبو داود»، (٤٢٤٢).

قال: إذا وسِّدَ الأمر إلى غير أهله »[١]، وفي رواية:«إذا أسند الأمر إلى غير أهله »[٢]، إذن لدينا قاموس نبوي في فقه التَّحولات، لأن النَّبي ﷺ قد سمَّى ووصَّف، فنحن أمام مفردات قد تتجاوز في معجميتها وبنيتها وتركيبها الخمسمئة أو الستمئة.

وأخبر النَّبي ﷺ في هذا الفقه عن مشكلات تواجه الأمة، خصوصاً أنَّنا الآن في ظل أزمة الكورونا، والنَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام قال: «بادِروا بالأعمال سبعاً»، أي: هناك سبع مشكلات ستواجهكم بادروا أمامها بأعمال تواجهها وتناسبها، «بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنظرون إلاّ إلى فقرٍ منس، أو غنى مطغ، أو مرض مفسد، أو هرم مفند، أو موت مجهز، أو الدَّجال فشر غائب ينتظر، أو السَّاعة فالساعة أدهى وأمر»[٣]، انظروا إلى مصطلح المرض المفسِد، نحن اليوم أمام فيروس قد التقط مخبرياً منذ أشهر قريبة، هذا الفيروس مطور عن سلسلة من فيروسات لها نوع من الارتباط وقد ساهم اليوم هذا في إفساد للاقتصاد ولمنظومة الاجتماع وتجارة النَّاس وصحة الخلق، هل يمكن للمرض أن يكون مفسداً؟ هذا ما نراه اليوم، وكذلك الموت المجهز والهرم المفنِّد.

علينا مع الأزمة المعاصِرة أن نخفَّف من الكماليات، قد رأينا الآن حاجات النَّاس عبر مبادرات معهد المعارج ووجدنا بيوتاً بلا

(١) «صحيح البخاري»، (٥٩).
(٢) المصدر السّابق، (٦٤٩٦).
(٣) «سنن الترمذي»، (٢٣٠٦).

أفـران فأصبحنـا نطهـو لهـم الطعـام، هنـاك إشـكاليات عنـد البعـض في تأمـين الأمـور الأساسـية، فـإذا مـا اسـتعدّ الإنسـان عـبر الاكتفـاء الـذَّاتي أو عـبر خويصـة العشـيرة أو أهـل الجـيرة والعـمارة والحـي والمنطقـة لنحيـي مبـدأ (أرضنـا عرضنـا)، فمـن المؤسـف أن الإنسـان اليـوم أصبـح مسـتهلكاً وليـس منتجـاً، لكـن سـيدنا النّبـي عليـه الصَّـلاة والسَّـلام لمّـا خاطـب أهـل المدينـة قـال لهـم: «ألم تكونـوا عالـة فأغناكـم الله بي »[1]، قـد أخرجهـم مـن الاسـتهلاك إلى الإنتـاج، كيـف سـنصبح اليـوم منتجـين صحِّيـاً ومعرفيـاً وثقافيـاً؟

حيـث أشـارت الأحاديـث إلى مشـكلة اقتصادِيّـة تترتـب عـلى مرحلـة الصَّيلـم، فكيـف سنسـهم بالحـل كأطبـاء ومهندسـين وصيادلـة وأصحـاب حِـرف وأصحـاب نظـر؟

علينا في مجال الاكتفاء الذَّاتي خصوصاً:

١. تحفيـز همـم الشَّـباب مـن ذكـور وإنـاث للاهتـمام بالمشروعـات الإنتاجية الصَّغيرة.

٢. اعتـماد مبـدأ الاكتفـاء الـذَّاتي عـلى صعيـد الأسرة والمؤسَّسـة والمجتمـع والبلـد والأمـة الواحِـدة، فيمكننـا الاسـتغناء عـن الكثـير مـن الكماليـات، وعلينـا أن نعيـد النَّظـر في نمـط الحيـاة الـذي كنـا نعيشـه لنعيـد ترتيبـه.

(١) «صحيح مسلم»، (١٣٩) (١٠٦١).

٣. تأكيد أهمية الحِرف والاختصاصات في رِعاية المسؤولية النَّبوية في وقائِع المرحلة الحالية بأن نحول هذه المقترحات والأفكار إلى خطَّة عمل مرقومة بالأفق الزَّمني وآليات التَّنفيذ ووجهاتها، وصِياغة وثيقة لإدارة هذا المشروع بما يكفل تحقيق نتائِجهِ في الشَّرائِح المختلفة.

٤. لابد لنا من التَّرقي الفكري، وكل بلد بحسب طبيعته في تجوله وأوقاته وميقاته، لكن يوجد شعور عام في كافة البلدان بأن هذه الجائِحة قد أثَّرت على الواقع، فبماذا خرجْتَ في فترة الحجر من ناحية الذِّكر والارتباط بالسُّنن، وعلى مستوى البيت ومع الأولاد، وعلى مستوى القِراءة للكتب؟

يقول السَّادة الصُّوفية: «المجتَهِد لا يدرك»، بمعنى أن الإنسان دائِم التَّجدد والتَّرقي، وهذه الأوقات فيها نوع من الحِصار، فالمطارات مغلقة، وقد تراجعت الفعاليات الاقتصادية والاجتماعِية، وهذا يولِّد ويوجد للإنسان أبواباً أوسع، وهذه فرصة لجرد دفاترنا وتجديد عناويننا، وأعجبني بعض الشَّباب والبنات الذين عادوا إلى ذكرياتهم الأولى، فمنهم من لديه مشاريع قديمة قد عاد ليعمل بها، من الجميل أن نخرج بأفكار ومنتجات ومخرجات، ففقه التَّحولات يدعونا إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه، كيف سيكون شكل العالم ما بعد الكورونا؟ لا شك أن موازِين كثيرة فيه ستختلف، هناك دول سترتفع ودول ستنحدر، وأُناس سيصبحون أغنياء وآخرين فقراء، وهذه هي طبيعة الحياة

ودورتها، فما هو دورنا وما هو واقعنا؟

أولاً: لابد لنا من أن نحافظ على الثَّوابت الشَّرعية، فما هو نصيبنا من فرض العين وإدراكنا لأصول العلم في الدِّين؟هل لدي وِرد دائِم أحافظ عليه؟ وهل للوِرد وارِد، وهل له ثمرات؟ ثم دعوياً ما هو موقعي ودوري؟ وما الذي أُؤديه في بيتي وأسرتي ومجتمعي ومحيطي؟ من الناس من تعطَّلت عليه بعض وظائِفه فانهار واكتئب، ومن الخطأ أن نتعامل مع التَّحديات بهذه الطريقة.

قم وانفض الغبار، فالقهوة حلاوتها في مرارتها، ولنصنع وإياكم من اللَّيمون الحامض شراباً حلواً فـ «الظُّروف تكيِّفنا ولا تتلفنا»، هذه القاعِدة قالها لي أحد أساتذتي، فأخذتها قاعدة لي في قواعِد العمل في الحياة والدَّعوة إلى الله، مثلاً: إذا صُبَّ لنا الماء في كوب شربنا، ولو سكبوه في قدح أو آنية كبيرة شربنا أيضاً، وهكذا يشرب المرء بحسب الأواني مهما تتعدَّدت وتنوعت.

ثانياً: يجب أن نخفِّف من حدة التوتُّر على مستوى المتغيرات، فيجب أن يكون دورنا هو تأمين المجتمع والبحث عن بدائِل الاكتفاء الذَّاتي والتَّنمية المستدامة، وفي المنهج النَّبوي أمثِلة كثيرة لهذا، نبدأ بأُسرِنا ومحيطنا ويبدأ كل واحد من حيّه ووجهته، ولابد من توجيه الشَّباب والبنات بأن يخرجوا من حالة الفراغ، لنستصلح أراضينا ونعمل في الممكن ونأخذ فرصتنا في الثَّروة الحيوانية والنَّباتية والصِّناعات التَّحويلية القائِمة عليها، فيشتغل المرء بحسب المتاح والله يبارك.

وإن الله يؤيد الَّذي يعمل بالأقوات؛ لأن الأقوات أهم شيء يحتاجه النَّاس، فأنتم ترون الذي يحصُل، فعلينا أن نعمل في تخفيف حِدة التَّوتر ليخرج النَّاس من الذُّعر والفوضى الذي هم فيه، والعمل على رفع الرُّوح المعنوية بأن نقوى ونطمئِن لوعد الله سبحانه وتعالى، ونحن في بلاد خير مرتبط بالدين والنُّبوة، وهذا كله يخفِّف من الأزمات، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا * وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾[الطلاق: ٢ - ٣] .

الظروف تكيِّفنا ولاتتلِفنا [1]

في واقع النُّبوَّة والرِّسالة

ما هو تأصيل التكيُّف في الكتاب والسُّنة وفقه التَّحولات وعلم الساعة؟ وما هي آفاق هذا التكيُّف الذي ننشده في المرحلة المعاصرة؟

يعيش العالم اليوم قصة وأزمة وتَحدٍّ واحد، لكن هناك تفاوت وتنوُّع في التعاطي والتعامل مع هذه الأزمة، فأهل مشهد الإيمان ونوره مختلفين في شهود هذه الأزمة والتعامل مع هذه الظُّروف.

إنَّ مسألة التكيُّف ليست وافدة ولا طارئة على فكرنا الإسلاميّ، وإنَّ طلبة العلم ممن يجثو الركب لدى العلماء يعرفون منهجية الإسناد، وهي المدرسة الأصيلة في التَّنقِّي والتلقِّي، فمن العلوم التّي يدرسونها (علوم المقدِّمات) أو (علوم الآلات)، ومنها علوم (المقاصد أو الغايات)، وهي من العلوم المرتبطة بالعلوم العقلية، لأنَّ من العلوم المعقول والمنقول، وأذكر حينما أكرمني الحبيب زين بن سميط بالإجازة قال لي: «أجزتك بالمعقول والمنقول»، فهناك علوم عقليَّة وعلوم نقليَّة، والعلوم النَّقلية هي ما اتَّصلت بالآثار والنُّقول والنِّسبة إلى الكتاب والسُّنَّة، أمّا العلوم العقليَّة ففيها تأسيس نظري وتأصيل منطقي وبنية

(١) أصل هذه المادة هو لقاء تفاعلي أثناء جائحة الكورونا عبر البثّ المباشر في صفحة معهد المعارج للدراسات الشرعية على الفيسبوك، في رمضان بتاريخ ١/ ٥/ ٢٠٢٠م.

كلاميَّة، ومن العلوم العقليَّة في البيت الإسلاميّ علم يسمى بـ(علم المقولات)، وهو علم عابر للحضارات والشُّعوب لأنَّه متعلِّق ببُنية الأفكار ونظامها في تعاطي العقل السَّوي المستقيم السَّليم مع المعطيات المتنوِّعة في عالم المحسوسات والمتخيّلات والعوالم المتعدِّدة التي لا يزال يجري الفكر بأنواعه المختلفة من توليفة الإنسانيّة في عوالمها، وهناك مقولات عشر معروفة، ومن هذه المقولات مقولة تسمى بـ(مقولة الكيف)، وليس هذا موضوعنا، لكن البعض استشكل مع التَّرويج لهذه السِّلسلة والكلام في هذا المفهوم أن هل موضوع التكيُّف موضوع متعلِّق بعالم النَّبات أم عالم الحيوان أم بالمناخ والمزاج العام؟

إنَّ هذا الموضوع متعلِّق بكيفيَّة تتعلَّق بجوانب مختلفة في حياة الكائنات، نتكلم عن التكيُّف بمعنى الملائمة والموافقة والانسجام والتعايش في مراتب متنوِّعة ومتعدِّدة في حياة هذا العنصر الإنسانيّ الوافد إلى هذا الكون، ومدخل الكلام عن التكيُّف من القرآن والسُّنة هو النَّظر في حياة الأنبياء والرُّسل، والله عزَّ وجل يقول ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، بل في قراءات ﴿رسالاته﴾[1] أي: أنَّ الله تعالى اختار النَّبي ﷺ بصورته ولغته وأبجديَّته وإمكانياته ومواهبه واستعداداته وجعله لهؤلاء القوم.

بل الذي يقرأ في علم الاجتماع البشري ويحاول أن يربط بين الدِّيانة والتَّاريخ يجد أنَّ حركة النُّبوة وفعاليّتها على وجه الأرض قد

(١) انظر: «حجة القراءات»، لأبي زرعة ابن زنجلة، (ص ٢٧٠).

تساوقت مع مزاج الاجتماع البشريّ، فحينما كان العالم أسرة كانت رسالة سيدنا آدم أسريَّة، فكان خليفة في أهله وأولادهم وبناتهم، ثم اتَّسع العالم إلى القبيلة فكانت دعوة ونبوَّة سيِّدنا هود وصالح في أقوامهم أشبه بالعشائريَّة، بحسب رابطة التآخي المباشر والدَّم الموصول، ثم اتَّسعت حركة البشريَّة في العالم فاتَّسعت فيها النُّبوات، ونجد هذا في عهد نبيّ الله إبراهيم عليه السَّلام أبا الأنبياء، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]، ومرحلته تشبه ما نسميه في الفيزيا بـ(المنشور)، تجمَّعت فيها المراحل السَّابقة وتصفَّت وتجوهرت وخرجت من جديد في أطوارٍ أُخرى، وقد توجّه سيِّدنا إبراهيم في دعواته: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، فبقيت النُّبوة مستمرَّة في عقبه وأولاده، وكانت كلّ النُّبوات من بعده في أولاده واختُلِف فقط في يونس بن متَّى إن كان من نسله أم لا، وانداحت الأرض وتداخلت الدِّماء في زمانه فبدأت تتَّسع دعوته، وهكذا جاءت النُّبوة على أطوار تناسب الاجتماع البشريّ، ومنذ ذلك الوقت أخذت النُّبوة شكل العمل المؤسَّسي، فوضِع بيت المقدس ووُضِع البيت الحرام ولهما في الأمَّة أطوار وأدوار.

وقد أبان الله عزّ وجلّ في القرآن بأنَّ النَّبي يُرسل بلسان قومه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، ولسان قومه هنا لها عدَّة معاني:

المعنى الأوَّل: هو اللِّسان الحسِّي من الأبجديَّة واللُّغة والثقافة.

المعنى الثَّاني: نمطهم وطبيعة أسلوب حياتهم والمزاج الذي يعيشون عليه.

لذا قال العلماء: إنَّ معجزات الأنبياء في كلِّ طور وزمن قد ناسبت طبيعة القوم الَّذين ظهر وبُعِث فيهم هذا النَّبي، فحينما كان الطبُّ سائداً وكانت هناك مدارس في التّداوي وأساليب ونظريّات في العلاج في زمن روحِ الله وكلمته أبرَزَ الله سيِّدنا عيسى في مظهر من مظاهر الرَّوحانية وخرق العادة في الطِّب، كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله، وفي زمن سيّدنا موسى قد شاعت أنماط من السِّحر وأساليب من عمل السِّيمياء والكيمياء وتوليفات متنوِّعة من استظهار الغيب الصِّناعي فبرز سيّدنا موسى في ذلك المشهد الكبير ونودي السَّحرة وأُخضِعوا للحقِّ وجلاله في الآية التي كانت مع سيِّدنا موسى، وفي العهد الأخير في زمن الَّنبي ﷺ قد برع الناس في اللُّغة والبلاغة والفصاحة والبيان، وقد عرف أبناء شبه الجزيرة العربية الأسواق الأدبية والاقتصادية فكانوا يتناشدون الشِّعر ويوثِّقون الأيام واللَّيالي عبر القصائد والمعلَّقات التي عُدَّت وعاء يحمل ثقافة ولَغة وأُفُق ومزاج وخيال ومخيال هذه الحضارات والشُّعوب والقبائل التي ظهرت في تلك المرحلة من عمر الزمن، فنزل القرآن باللِّسان الذي عَجز عن مجاراته فحول الشُّعراء وأرباب البيان، فعن الحسن، قال: «أنزل الله عز وجل مائة وأربعة كتب من السَّماء أودع علومها أربعة منها: التوراة والإنجيل والزَّبور والفرقان، ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم القرآن المفصَّل، ثم أودع

علـوم المفصَّـل فاتحـة الكتـاب فمـن علـم تفسـيرها كان كمـن علـم تفسـير جميـع كتـب الله المنزلـة»[1]

فـكان آخرهـا والمهيمـن عليهـا هـو القـرآن الكريـم، والـذي يتأمَّـل منَّـا ومنكـم يجـد أن بدايـة الرِّسـالات كانـت صُحُفـاً، ولـك أن تتأمَّـل هـذه الصحيفـة مـمَّ تتكـوَّن؟ وهـل بدايـة الصُّحـف في العـالم كانـت أحـرف كـما الأحـرف المقطَّعـات عندنـا؟

نـرى أنَّ الأبجديَّـة قـد أخـذت مسـارات ومسـافات ثـمَّ تحولـت إلى كُتُـب، نجـد الزَّبـور مزامـير، والتـوراة أسـفار، والإنجيـل إصحاحـات، وهكـذا الرَّسـائل والتَّعاليـم الإلهيـة التـي نزلـت في غابـر الزَّمـان كانـت تراعـي فكـر واسـتعداد وإمكانيَّـة البشريَّـة، وهـذا كلّـه مـن التكيُّـف الـذي نتكلَّـم عنـه، فالعقيـدة واحـدة والنبـوَّة مصدرهـا واحـد والدعـوة النبويَّـة واحـدة عـبر سلاسـل الأنبيـاء عـلى تعدادهـم[2]، فمسـلكهم ومقصدهـم ومسـارهم ومنهجهـم واحـد، لكـن وقـع التعـدُّد والتنـوُّع والتماثـل الأكـبر في ظهـور الشَّرائـع واللُّغـات، فالأنبيـاء العـرب عددهـم أربعـة، فبـأي لغـات وأبجديـات ظهـر سـائر الأنبيـاء؟

---

(١) «شـعب الإيـمان»، (٢١٥٥)، وقـال ﷺ: «نزلـت صحـف إبراهيـم أول ليلـة مـن رمضـان، وأنزلـت التَّـوراة لسـتٍّ مضـين مـن رمضـان، وأنـزل الإنجيـل لثـلاث عـشرة خلـت مـن رمضـان، وأنـزل الزَّبـور لثـمان عـشرة خلـت مـن رمضـان، والقـرآن لأربـع وعشريـن خلـت مـن رمضـان»، «السـنن الكـبرى»، للبيهقـي، (١٨٦٤٩). فشـهر رمضـان هـو وعـاء الرِّسـالات السَّـماوية.

(٢) عـن أبي ذر، قـال: «دخلـت عـلى رسـول الله ﷺ وهـو في المسـجد، فذكـر الحديـث، إلى أن قال: فقلـت: يـا رسـول الله كـم النبيـون؟ قـال: مائـة ألـف نبـي وأربعـة وعـشرون ألـف نبـي، قلـت: كـم المرسـلون منهـم؟ قـال: ثلاثمائـة وثلاثـة عـشر»، «السُّـنن الكـبرى»، للبيهقـي، (١٧٧١١).

لقد كان من الأنبياء السِّرياني والآرامي والعبراني والكلداني، لغات متنوِّعة ومتعدِّدة أبرزها الله على ألسنة هؤلاء الأنبياء، ومعجزات مختلفة أبرزها الله على أيديهم، فمنهم من أقامه الله في مقام الملك مثل سيّدنا سليمان الذي قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥]، فكان نبي ملك، وسيّدنا داود بدأ جندياً في صفّ، ومن الأنبياء النَّجار والحدَّاد والخيَّاط، فلم يكن الأنبياء على حالة أو شكل أو أسلوب واحد، حتى فيما أفاض الله لهم من علوم وفهوم، فنجد سيدنا إبراهيم يقول: ﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ۝ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ﴾ [الصافات: ٧٨]، لديه علم مرتبط بالفلك وهيئة السَّماء، وسيّدنا إدريس الملقب بـ(أخنوخ)، قال عنه ﷺ: «كان نبيّ من الأنبياء يخط»[1]، وهذا إشارة إلى علم الرمل[2]، وكان لسيّدنا داود همَّة في الحديد، فقد جعل الله الحديد في يده كالشَّمع في أيدينا، ينماع بأسماء الله عزَّ وجلّ، وقد عمل أوَّل لباس عسكريّ في التاريخ، ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، ونجد سليمان الذي ورث علم داود قد فتح الله له في النُّحاس ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِ﴾ [سبأ: ١٢]، وهكذا نجد في جُهد وعلم وفهم ومُدرَك ومسير الأنبياء حالة من التنوُّع والتعدَّد والاختلاف الذي ولَّد عندنا مفهوم التكيُّف.

إنَّنا وإن كنَّا على عقيدة ومسلك ومنهج واحد وندين ونتعبَّد ونقصد إلهاً واحداً إلاّ أنَّ التنوُّع يثري هذا المسار، فهذا التعدُّد والتنوُّع

(١) «صحيح مسلم»، (٣٣) (٥٣٧).
(٢) انظر: «معالم السُّنن»، (٤/ ٢٣٢).

يُفضي إلى مسألة التكيُّف، بمعنى: أنّ كل نبيّ قد قام في زمانه وتمثَّل وجه النُّبوة وحالة الرّسالة وكان عنده من الاستعدادات والإمكانات أن يتنوَّع الخطاب والمظهر والحالة والمقام كما تنوَّعت أصولهم وجغرافيّتهم وألوانهم وأكوانهم عليهم أفضل الصَّلاة والسَّلام، وبالتالي إذا أردنا أن نقرأ مسألة التكيُّف في بُعدها وعُمقها القرآني فأوَّل ما نشهدها وننشدها نجدها في حياة الأنبياء والرسل من كمَّلهم الله واصطفاهم وجعلهم أعيان العالم ومظاهر الاقتداء والمتابعة في هذا الوجود والعالم على تنوُّع أعمالهم ورسالاتهم ومعجزاتهم وأطوارهم وأطروحاتهم وفعاليّاتهم ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وهذا يفتح لنا باباً كبيراً في شهود مسألة التكيُّف.

يتساءل البعض عن أصل عبارة: «الظُّروف تكيِّفنا ولا تتلِفنا»، وتطبيقات هذا المفهوم في الكتاب والسُّنة وعلاقته بفقه التحوُّلات وهل هو من علم السَّاعة؟ وكيف لنا أن نبني بجوار هذا التأسيس واقع عمل؟

نحنُ نحاول أن نؤصِّل بُعدَين: بُعد التأصيل الفكري والأصول الشَّرعية فيما يتعلق بفقه التحوُّلات والعلامات، وبُعد المواقف المطلوبة الآن في هذا الظَّرف الرَّاهن والمرحلة المعاصرة من عمر الزمن، ومدى الأزمة الموجودة في الواقع المعاصر والتّي تحتاج إلى عمل ومبادرة، فجمعنا بين التَّأسيس النَّظري عبر التَّوصيف في فقه التحوُّلات، وعبر المعالجة في فقه الحاجات، والَّذي نحاول أن نؤكِّد عليه هو أن نتكلَّم

عن فقه التحوُّلات فيما يتعلَّق بتوصيف الأزمة والظرف الرَّاهن ضمن أي سياق ولحاق، ثمَّ المواقف الشَّرعية المطلوبة وتفعيل هذه المواقف والعلامات، وهذا جدول توضيحي في منهجية التعامل بمرحلة الاستنفار:

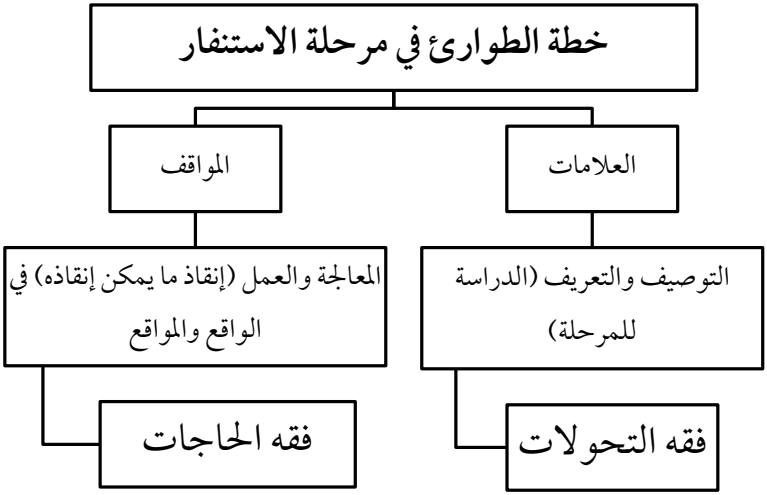

وفي رسالتي: «القول الميسور في مناصحة وُلاة الأمور»، من كتاب مقالات في فقه التحوُّلات تكلّمتُ عن فقه السِّياسة الشَّرعية شبه المعطَّل اليوم، وثمَّة إشكاليَّات ذكرتها في الرِّسالة ممكن أن تراجع[1]، لكن نحتاج في مرحلتنا المعاصرة من ابتداء عصر الغثاء، منذ مرحلة الاستظهار والاستكبار والاستعمار إلى يومنا هذا في مرحلة الاستنفار من واقع فقه التحولات[2]، إلى بناء خطَّة طوارئ.

(١) انظر: «مقالات في فقه التحولات»، للمؤلف، ص١٠١.

(٢) يُقسِّم العصر الغثائي في توصيف الحبيب أبو بكر العدني ابن علي المشهور حفظه الله إلى عدَّة مراحل، وهي: مرحلة الأحلاس أو الاستظهار، ثمَّ مرحلة السَّراء أو الاستعمار،

فعلم السِّياسة الشَّرعية هو علم مؤصَّل له قواعد وكليّات وله تراث في أمّتنا وتاريخنا، لكن في أزمة عهد الغثاء نجد إشكاليّة في الاستنباط من حركة هذا الفقه، فاقترحنا قيام خطة طوارئ مبنية على ما يسمّى بـ«العلامات والمواقف»، فمن ضمن علم السّاعة ما يتعلق بملاحظة العلامات والمواقف في فقه التحولات، ماذا نقصد بالعلامات والمواقف؟ سأضرب مثلاً: قال ﷺ: «...حتى إذا رأيت شُحّاً مطاعاً، وهوى متَّبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه، ورأيت أمراً لا يدان لك به، فعليك خويصة نفسك، ودع أمر العوام...»[1].

فمعنى «حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً»؛ أي: أصبح الشُّح سيّد المواقف «وهوىً متبعاً»؛ أي: تلاحظ في ما يرد ويصدر من المدخلات والمخرجات في المرحلة المعاصرة أنّ المسؤول فيها يتَّبع هواه ولا يعمل ضمن وظيفة وغاية وقواعد ومرجعية ومنهجية، «ودنيا مؤثرة»؛ غلب إيثار الدُّنيا على الآخرة «وإعجاب كل ذي رأي برأيه»؛ لا يوجد مرجعية لأهل الذِّكر والبصيرة والنور، وقد أصبحت النَّاس تتخبَّط في أهواء وإعجابات، وكل واحد منهم مسروراً بفكرته وأطروحته.

فإذا اجتمعت هذه العلامات الأربع وبدأت مظاهرها لا بد أن يكون لك أيها المؤمن ثلاث مواقف، وهم:

ثم مرحلة الدهيماء أو الاستهتار، ثم مرحلة الفتنة الرابعة أو الاستثمار، ثم مرحلة الصيلمة أو الاستنفار»، «الأسس والمنطلقات»، (ص٢٠٨) وما بعدها.

(١) «سنن ابن ماجه»، (٤٠١٤).

أولاً: «دع عنك أمر العامة»؛ لا دخل ولا شأن لك في الأمر العام، لأنه أصبح مسيَّساً مدخولاً غير منتجاً، وأصبح ساحة للأهواء والإعجاب بالآراء.

ثانياً: «اعتزل الفرق كلها»[1]؛ ابتعد عن الأحزاب والكيانات والحركات، فلا تكن في حركة أضداد ولا صراع جائر أو أمر دائر، ما الحل؟

ثالثاً: «عليك بخويصة نفسك»؛ باشر بالعمل المنتج المضمون في مساحتك الخاصة، إن كنت تستطيع أن تنتج في أولادك وبناتك فهذه خويصتك، أوتستطيع أن تنتج في عشيرتك أو قومك أو أهلك والمحسوبين عليك فهذه خويصتك، أو استطعت أن تنتج في أهل الارتباط والانضباط بمرجعيّتك فهذه خويصتك، أو استطعت أن تؤثِّر في شعب أو إقليم أو جهة فهذه خويصتك، تتَّسع أو تضيق دائرة الخويصة بحسب موقعك ووظيفتك، فالعمل يكون ضمن الخويصة والحفاظ عليها وبناءها وترميمها وإشاعة الثوابت فيها والعمل على تخفيف حدّة التوتُّر وتأمين المجتمع عبر الخويصة.

هذا مثال ضربته على المنهجيَّة التي تناولناها في معنى تفعيل خطَّة للأزمات والإشكاليات في عهد وعصر الغثاء، خصوصاً أنّنا في الشِّق الثّالث من مرحلة الاستنفار، فمنهجيَّة العلامات والمواقف هي خطَّة الطَّوارئ في عهد الغثاء أمام أزمات الظَّرف الرَّاهن والواقع

(١) انظر: «صحيح البخاري»، (٣٦٠٦).

المتحوِّل، نحاول أن نؤصِّل هذا الكلام، ومع هذا التأصيل لا بدّ أن يجتهد أرباب الأعلام وأصحاب الخدمة من قيادات علميَّة وفكريَّة وروحيَّة كيف يُترجَم إلى واقع عمل وخطَّة إنقاذ؛ إنقاذ ما يمكن إنقاذه لأجل أن نعبُر بسلام وأمان من مرحلة الاستنفار إلى مرحلة الاستقرار.

نواصل التأصيل في مسألة التكيُّف في عهد ومرحلة النَّبي ﷺ، ويلحظ القارئ في سيرته ﷺ التَّحول الكبير في مشروع النّبوة وعملها بين مكَّة والمدينة، فقد اختلف مماراسته الدَّعوية بعد الهجرة، حيث لم يقدِّم النَّبي ﷺ في مكَّة مشروع عمل، وإنَّما كان يبثُّ حقائق التَّوحيد، وكان يتعامل مع العوائق التي تعترضُه بحال العبوديّة المحضة الخالصة.

إنَّ البناء والممارسة في عهد المدينة قد أخذت أشكالاً متنوِّعة، وقد اجتمعنا مرة نحن ومجموعة من إخواننا الشباب في رحلة دعوية قبل ثلاث سنوات إلى أندونيسا، ثم التقينا نحن وعدداً من العلماء في ملتقى في طوبان، اجتمع فيه علماء من الأردن وعلماء من أندويسيا، فطرحنا موضوعاً اسمه: «الحلول النَّبوية للمشكلات العالمية»، وبدأنا نبحث في المشكلات التي تعامل معها النَّبي ﷺ بشكل مباشر ووضع لها حلولاً، فوجدنا أكثر من أربعين مشكلة قد ساهم النّبي ﷺ في حلِّها، وحينما عدنا من رحلتنا عقدنا سلسلة مجالسات واستدعينا بعض علمائنا في الإفتاء، منهم قاضي القضاة، والدُّعاة المباركين من أساتذة المعهد، ووزَّعنا بينهم بالتَّناصف الكلام في كلّ أمسية، ثمّ كانت دروس

السيرة يوم الثلاثاء في الحلول النَّبوية للمشكلات العالميّة، وصدرت بعض الأدبيات في هذا الإطار، كمطوية الحلول النبوية للمشكلة الاقتصادية، وكذلك وجدنا حلاً نبوياً لمشكلة في المفاهيم، وحلاً نبوياً للمشكلة النّفسية التي تعتري بعض النّاس، وحلاً نبوياً لمشكلة اللاّجئين التي لا تزال تهدِّد العالم، وهناك حلاً نبوياً لمشكلة النَّقد كالتورُّق والمديونية، وكيف ينقل ﷺ المجتمعات المستهكلة إلى الإنتاج، فقد كان أهل المدينة مزارعين، وقد عبث بهم اليهود عبر المديونيّة وتأجيج الخلافات والمشكلات، فقدم لهم النَّبي ﷺ مشروعاً لا يخطر على البال، ونقلهم إلى مستوى رفيع، فأصبح لهم مركزاً تجارياً على مستوى شبه الجزيرة العربيّة[1]، ونرى كيف أسَّس النَّبي ﷺ السوق والمسجد والوثيقة والمؤاخاة، وكيف وازن هذه الشؤون عبر رؤية نبوية ثاقبة ومنهج رسالي متقدم.

وفي نفس الوقت نجد أن البيئة والمزاج بين مكة والمدينة مختلف ومتنوع ، وقد كنت في دورة من الدورات في المدينة مع مجموعة من الباحثين في الآثار والمختصِّين بمشاهد النُّبوة، جلست وإياهم ثلاثة ليالٍ متصلة تكلمنا في بعضها عن مفارقات المرحلة المدنيّة والمكيّة من حيث طبيعة التكوين ووجدنا مفارقات عدة، مثلاً:

١. كان في مكّة نوع من التشدُّد الديني، وفيها عدة مذاهب شعائريّة

(١) كتبت كتاباً سيصدر قريباً بمشيئة الله يتعلق بالمرحلة المكيّة ومدارستها ومتابعتها ثم العهد المدني وملاحظته ومتابعته، وأنجزت رسالة أخرى موسَّعة تتعلَّق بمنهج النبي ﷺ في بناء المجتمع المدني.

وهي: الحمس، والطلس والحلة[1]، ووجدت في القرآن في آيات الحج آيات تتناول بعض مظاهر تلك المذاهب، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، كأن هذه الآيات تحسم الخلاف بين هذه المناهج بما جاء به الإسلام، فنجد أن مكة الغالب عليها هم الأحمسيين، وهو مذهب متشدِّد، بينما مجتمع المدينة كان أقل تشدُّداً وأكثر تقبُّلاً للتنوُّع الدينيّ، لأن فيه نسبة كبيرة من اليهود، من ثلاث قبائل كبيرة ترجع إلى عشرين بطن[2]، حتى وثنيّة المدينة فيها تساهل أكثر من وثنيّة أهل مكّة وهذا له أسباباً كثيرة، وهذه مفارقة واجهها النَّبي ﷺ، التشدُّد الذي كان في مكة والّذي أثر على الدَّعوة الإسلاميّة، والانفتاح والتعايش الموجود في المدينة.

٢. ثمَّ إنّ المجتمع المكّي من حيث العمارة والبنية العقارية والنّمط البنائي نجده وادياً ضمن سلسلة جبال في قلبه الكعبة وحوله تقسيم منذ أيام قصي حينما قسَّم البطاح والظواهر، فكان المجتمع المكّي مشدوداً ومزموماً في نمط معماري، لكن المدينة تختلف عن ذلك، فهي غير متّصلة عمرانياً ولا محصورة مثل مكّة، بل هي مشتّتة ومفرّقة، فيها تسعة وخمسين حيّ متناثر[3]، وهي الآطام التي كان يسمِّيها النّبي ﷺ زينة المدينة، وهي مزاج يهودي جاء

(١) انظر «الروض الأنف»، للسهيلي، (٢/ ١٨٨).
(٢) انظر: «وفاء الوفا»، للسمهودي، (١/ ١٣٠).
(٣) انظر: المصدر السابق، (١/ ١٢٥- ١٤٢).

معهم بعد السّبي حينما دخلوا المدينة، وكانت محصَّنة ومبنية على الاكتفاء الذاتي في داخلها، قال تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤]، وحينما بنى النَّبي ﷺ المسجد وما حوله في المدينة اتصلت عمرانياً بعد ثلاثة سنين.

٣. ثم هناك مفارقة على مستوى نظرة المجتمعَين للعلاقة بين الرَّجل والمرأة، وحضور المرأة المجتمعي فيهما، فنجد الحضور الذُّكوري في الطور المكّي وعبر دار النّدوة أبرَز، وقريش تنتسب أصلاً إلى فِهر أو النَّضر، بينما حضور المرأة في المدينة بارز وأطغى من حضور المرأة في مكة، وينتسب بعض أهل المدينة إلى قيلة، قال ﷺ: «إنَّ الله عزّ وجل أيدني بأشدّ العرب ألسناً وأذرعاً، بني قيلة الأوس والخزرج»[1]، وقيلة هي جدتهم، ويقول سيدنا عمر: «وكنّا معشر قريش نغلب النِّساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم»[2]، وهذا إشارة وملمح إلى هذه المفارقة.

٤. ثم إنَّ المجتمع المكّي مجتمعٌ تجاريٌّ بالدَّرجة الأولى، وقد اتخذ هاشم جدّ النبي ﷺ من غزة ميناءً لأجل التجارة فكان ينقل بضائع أوروبا وتلك المناطق في شمال الشّام إلى الحبشة واليمن والهند عبر حركة السّواحل، فكان لقريش دور تجاريّ كبير فقويت علاقاتها ودبلوماسيّتها وحاولت أن تحدّ من الاقتتالات

(١) «المعجم الكبير»، للطبراني، (١٢٠١٤).
(٢) «صحيح البخاري»، (٢٤٦٨).

عبر الجهد الدبلوماسي، فقد عقدوا أحلافاً عديدة، لكن الأمر مختلف في المدينة بسبب اليهود الثّعالب، فقد أجَّجوا صراعات الأوس والخزرج لأكثر من مئة وعشرين سنة[1]، فمسألة الجاهزية والاستعداد للقتال عندهم أكثر من الاستعداد والجاهزية في مكة.

نحن نؤصِّل بكلامنا هذا مسألة التكيُّف عن طريق عرض نبذة عن هذه المفارقات المتنوّعة والمتعدِّدة بين المرحلة المكيّة والمرحلة المدنية، فقد كان النّبي ﷺ يعيش التكيُّف مع مكّة وظروفها وإمكانيّاتها واستعداداتها وأهلها، ثمَّ التكيُّف مع طبيعة المدينة وأهلها.

وقد كان العمل النَّبوي مختلف بين البيئتين، ونرى هذا الاختلاف جلياً في السنة السَّابعة للهجرة حينما انتهى صلح الحديبية وبعد خيبر عمل النّبي ﷺ على مراسلة أربعة عشر ملكاً وحاكماً حول العالم، حاورهم النبي ﷺ وراسلهم عبر صحابته، فقد كان الصحابة منوَّعين لدرجة أنه بعث رجلاً أشقراً وهو دحية الكلبي إلى هرقل، وبعث رجلاً أسمراً وهو عمرو بن أمية الضمري إلى النّجاشي، فلون وشكل ولغة رسول الرسول إلى قائد أو حاكم أو صاحب الإقليم في الجهة التي راسله إليها تناسب قسمات المجتمع ولغته، أما الرسائل فقد تنوَّعت وهذا من التكيُّف، حيث راسل كلّ قوم بلسانهم، فذكر في رسالته لهرقل الأريسيين[2] وخاطب صاحب عمان: «واعلم بأن ديني

(١) انظر: «البداية والنهاية»، لابن كثير، (٣/ ١٨١). و«صحيح البخاري»، (٣٧٧٧).
(٢) انظر: «صحيح البخاري»، (٤٥٥٣).

سيظهر إلى منتهى الخفّ والحافر»[1] وراسل صاحب فارس بما يفهم ويعتقد، وهكذا تنوعت الرِّسالات، وقد كتبت بحثاً في رسائل النبي ﷺ للملوك والحكام أين اتفقت وأين اختلفت، لأجل أن نفهم مسألة التكيُّف، فقد كان النبيُّ ﷺ يراعي الاستعدادات والإمكانيات والقوابل والذاتيات في فعالياته وممارساته.

ونحن الآن في همٍّ مشترك وبين بُعدين:

الأول: بُعد التَّوصيف للظَّرف الرَّاهِن والأزمة المعاصِرة في ما يتعلق بفقه التَّحولات.

الثاني: بُعد المعالجة والعمل وتقديم الحلول عبر ما يسمى بفقه الحاجات.

وفيما يتعلّق بأزمات الأمة، فنحن نعاني من أزمة في الإنتاج والاستهلاك، نرى أنّ أمتنا قد دخلت اليوم في حالة من الاستهلاك، ليس فقط على الصعيد الاقتصادي والزِّراعي والحيواني، بل في كل مظاهِر الاستهلاك، حتى على صعيد الثقافة والمعرفة، أصبحنا مستهلكين للمعارف والرّوحانيات، لم يعد لدينا إنتاج.

وقد زرت قبل أشهر كامبردج والتقيت مع الدُّكتور عبد الحكيم مراد، فسألني عن حالة المنطقة العربية، فقلت له: منذ

(١) «المواهب اللدنية بالمنح المحمَّدية»، (١/ ٥٥٠).

ثلاثمئة سنة لم ننتج معرفة جديدة، ثقافتنا هي إعادة لما تم إنتاجه، قد يكون الدُّكتور طه عبد الرَّحمن كفيلسوف قد قدَّم اجتهاداً معرفياً له مداه ودراسته، وشيخنا ومولانا الحبيب أبو بكر العدني ابن علي المشهور عبر تبويب فقه التَّحولات وهيكلته وتطبيقاته قدَّم ميداناً وحقلاً معرفياً يتيح المجال لمزيد من الأبحاث والمعرفة، وفيما عدا ذلك فأغلب ما نقرأه ونتابعه هو إعادة إنتاج.

وعلى صعيد التَّعليم فقد خرَّجت برامج التعليم المعاصر جيلاً داخل مثلث الشهادة والمرتَّب والوظيفة، وخارج هذا لا يستطيع الجيل أن يقيم حياته، وبالتَّالي فأي أزمة تخضه وترجّه وأيّ جائحة تقلقله وتزلزله.

وعلى صعيد الغذاء والدواء نحن نعيش أزمة قرصنة، قد كنت قبل فترة في زيارة لجاري وصديقي الدُّكتور شهباز، وهو مختص بالطب البديل، فحدثني عن مسألة عجيبة اسمها: «الطُّغيان عند الإنسان»، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾ [العلق: ٦]، ما هو الطُّغيان؟ قال: إنّ الإنسان مكوَّن من ثلاث أشياء رئيسية بجِوار تكوينه الأساسيّ، فلديه الأنزيمات والمعادِن والهرمونات، وأيّ عبث بهذه الثَّلاثة هو عبارة عن طغيان في بناء صحّة الإنسان، ونحن نرى اليوم أنّ الإنسان لم يعد إنساناً، بدءاً من العقاقير الطِّبية والأغذية كالزِّيت المهدرج والقمح المهرمن، فالهرمونات والإشعاعات قد أفسدت قمحنا وشعيرنا ودجاجنا ودواجننا، وهذا كله ينعكس على الصِّحة

الجسديّة والنفسية للإنسان، يعاني البعض من اكتئاب وصراع داخلي وأزمة نفسية، من أسباب هذا أنّ الإنسان ومنذ بداية حياته من فترة رِضاعته ونشأته وهو يعيش معلباً في معلب، ومدجَّن في مدجَّن، وهذه إشكالية.

نحن لسنا في إطار مسيّس أو أيّة أجندة، نحن نخاطب الشُّعوب ونتكلَّم من واقِع مسؤولية دعوية حمّلنا إياها أشياخنا وأهلنا، وقد قال ﷺ كما جاء في السُّنن: «إذا لعنت آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فليظهره فإن كاتم العلم ككاتم ما أنزل على محمد ﷺ»[1] وفي رِوايه «فلينشره»[2]، وحتى لا نكون ممن كتم العِلم ولم يؤدِّ زكاة علمه نحاول أن نترجم هذه المفردات والمفاهيم والمدركات في حوار فعّال ومثمر مع القارئ.

ولسنا في مربع تنظير بعيداً عن الواقِع والمرحلة، فمثلاً: قد تعاونَّا عبر معهد المعارِج والحوراء مع جمعية الاكتفاء للتَّنمية الخيرية وهم أحبابنا وأهلنا وبيننا وبينهم اشتراكية واتفاقية قديمة وقد أنتجت بفضل الله في واقِع المرحلة، وقد دخل معنا مطبخ إبراهيم الخليل في إنتاج الوجبات والطرود -لكن هذه الفعاليات هي نوع من التَّسكين والحل المؤقت- وعندما زرنا بعض المحتاجين لم نجد لديهم أفران ولا وسائل للطبخ، فاقترحت أن نتعاون مع الجمعية ونبدأ بحملة ترميم

(١) «السُّنة لابن عاصم»، (٩٩٤)، و«المعجم الأوسط»، للطَّبراني، (٤٣٠).

(٢) «مختصر تاريخ دمشق»،لابن عساكر، (٢٣/ ٦).

للمنـازِل، فقـد رأيـت بعـض البيـوت بـلا سـقف، وهنـاك بيـوت يصعـب العيـش فيهـا مـن الحفـر والجـور وتهتُّـك الجـدران، مـن الممكـن بمبالـغ بسـيطة أن نحـلّ هـذه الأزمـات، وكل مـا تقـوم بـه الجمعيـة مـن الكسـوة وترميـم المنـازِل والطَّبـخ اليومـي ومراعـاة الأيتـام والسَّـعي عـلى المسـاكين وتحريـك الصَّدقـات والزكـوات في أيـدي النَّـاس، هـو حـل جزئـي وسريـع وعاجِـل.

وفي خطابنـا للشُّـعوب ولمـن يقـرأ نحـن نريـد حلـولاً أوسـع مـن ذلـك، نريـد عـبر رؤيـة معـاصرة أن نحقـق قـدراً مـن الاكتفـاء الـذاتي الـذي يعالـج الفقـر والحاجـة، كأن ننشـئ مشـاريع اسـتثمارية مبينـة عـلى الاكتفـاء، ويسـتطيع كلّ شـخص بحسـب إمكانيتـه أن يبـدأ، مثـلاً: زِراعـة الأسـطح والزِّراعـة المائيـة، ولدينـا تجـارب في المعهـد عـبر وحـدة الاكتفـاء الـذَّاتي؛ فشـعارنا: «علـم، سـلوك، دعـوة، اكتفـاء ذاتي»، وقـد اتصـل معـي بعـض الأحبـاب مـن معـان والرَّمثـا والمفـرق والعقبـة وقالـوا لي: «نسـمع منكـم منـذ سـنوات تتحدثـون عـن الاكتفـاء الـذَّاتي، والآن فهمنـا وأدركنـا معنـى هـذه الكلمـة»؛ قـد يظـن السـامع أحيانـاً أنّ بعـض الخِطابـات فيهـا نـوع مـن الـتَّرف، لكـن في خطـاب فقـه التَّحـولات لا يوجـد أي تـرف، ولا هـو شقشـقات ألسـنة، بـل هـو هـمّ وحرقـة وشـعور بالمرحلـة ومحاولـة إنقـاذ مـا يمكـن إنقـاذه، ففـي فقـه التَّحـولات أنـت تـدرس المـاضي وتقـرأ الحـاضر ولديـك دِراسـة للمسـتقبل، تحـاول أن تخفِّـف الحِـدة وأن تخـرج مـن كل مرحلـة بأقـل الخسـائِر.

هـذه المحاولـة التـي نحـاول أن نتجهـا عـبر فقـه التَّحـولات بأننـا نوصِّـف لكـن لا نغـرق في التَّفاصيـل ولا تأخذنـا أمـواج القواصِـف والعواصِـف الزَّمانيـة فتفسـد علينـا ديننـا وإيماننـا وتولِّـد لدينـا تـردُّدات أو توهُّمـات، ففقـه التَّحـولات بقراءتـه الاستراشـفية والاسـتباقية والمسـتقبلية يعطينـا إشـارة للانتبـاه أنـه ثمـة علامـات، وهـذه العلامـات تحتـاج إلى مواقِـف، وقـراءة العلامـات مُهمّـة فقـه التَّحـولات، أمـا تفعيـل المواقِـف فمهمّـة فقـه الحاجـات، لكـن علينـا دور عـلى صعيدنـا الـذَّاتي والأسري والحـاضِرة والمجتمـع الـذي نعيـش فيـه وعـلى صعيـد الشَّراكـة المجتمعيـة والعالميـة التـي نقيمهـا اليـوم في بلداننـا.

فحينـما أسَّسـنا نشـاطنا ومعهدنـا ودورنـا في شـبابنا وبناتنـا قلنـا لهـم: «نعمـل محليـاً ونفكِّـر عالميـاً»، والعـالم يعيـش الآن بـما يسـمى بالعولمـة، وهـذه ليسـت عولمـة بـل أمركـة، لكـن في الإسـلام لا يوجـد لدينـا عولمـة، بـل عالميـة، وقـد قـال الحبيـب أبـو بكـر المشـهور: «إن العولمـة مـشروع دجّـالي»، معناهـا أن تطبـع العـالم عـلى طبعـة وثقافـة واحِـدة، ثـم تفتِّـت الأديـان والمقدسـات والبنيـة التَّقليديـة والمجتمعيـة وتـضرب السُّـقوف وتفـكِّك الفوقيـات والتَّحتيـات، هـذا ليـس من الإسـلام في شيء، فالإسـلام عالميتـه تدعـم الحضـارات وتراعـي الثَّقافـات وتتفاعـل مـع الخصوصيـات ولا تلغـي أحـداً، والعولمـة حينـما ظهـرت قتلـت مئـات اللُّغـات، وقـد رأينـا نظريـة نهايـة التَّاريـخ ونظريـة صِـدام الحضـارات واحـدة لصموئيـل هنكتـون، وواحـدة لفرانكسـيس هوكيامـا، ونحـن نتكلـم عـن نمـط وسـلوك آخـر.

إنّ هذه المدنية التي عاشها الناس داخل العولمة وظنّوا أنها الحل، والرَّفاهية التي جعلت أولادنا وبناتنا يعتادوا نمطاً معيناً، قد اهتزّت الآن مع جائِحة الكورونا، فالذي اعتاد على أكل المطاعم وجدها مغلقة الآن، وقد عاد بعض الناس إلى المربّع الأوّل والحياة الأولى، ونحن نتكلم عن التَّكيف مع الظروف، هل هذا التَّكيف سيتعبنا ويفسدنا ويسبب لنا ردَّات فعل؟ أم سيعلّمنا الكثير؟

تخيّلوا لو استمرّت هذه الأزمة وبدأت المواد الأوليّة الأساسيّة من احتياطات الغذاء والطاقة تنقص، ثم شبكة الإنترنت وطاقة التَّحمل للكهرباء ضعفت، فعلى أي وصف وعلى أي حال سنعود؟ هل نحن على استعداد لهذا الشَّيء؟

من فضل الله نحن في بلدان فيها أرضية خدمات وصمّام أمان في موضوع الطَّاقة والغِذاء، لكن على المجتمع أن يكون حاضِراً وجاهِزاً، فهذه الأزمة عبارة عن اختبار بسيط لنرى مدى استعدادنا وقابليتنا، وكذلك اختباراً لإنسانيتنا، هل فينا بقايا إنسانية؟

للأسف رأيت في عملي في واقع الحملات أنّ هناك أزمة أخلاق، هناك أناس أثرياء ثراء فاحشاً، لديهم ودائِع وأصول وإمكانيات، لكنهم مُمسكين لا ينفقون، أين المشكلة؟

إنّ الخوف والذُّعر والرُّعب الذي لبسهم جعل الواحد منهم لا يفكر حتى بجاره، تمر عليه أيام لم يتفقد فقيراً أو مسكيناً، بل البعض

منهم متردد في إخراج زكاته في هذا الوقت حتى لا تزيد مدفوعاته، خوفاً مما سيحصل، أين الله خالقنا ورازقنا منهم؟

نحن اليوم أمام اختبار إنسانية الإنسان، هل أنا إنسان أم لا؟ لأن المدنية والرفاهية قد سقطت في هذا الاختبار وبقيت الرحمة والإنسانية، هل الإنسان إنسان؟ أم أنّ الإنسان بحكم التَّهجين لم يعد إنساناً؟

نسي الطِّين ساعةً أنَّه طينٌ حقيرٌ فصال تيها وعربدَ [1]

إنَّ التَّكيف هو أن نلائم حركة فقهنا ومدرك عملنا وأسلوب نشاطنا بحسب الواقع المتجدِّد، وهذا الواقِع المتجدِّد لا بدّ أن نقرأه قِراءة صحيحة في تركيبته وتوليفته، وكذلك لا بدّ أن نقيم المتوقّع، فهناك دراسات وأبحاث وتقارير، وشرعياً تخرِج لنا كل أزمة آيات وأحاديث لأول مرة نسمع بها، بعضها استعجالات وإسقاطات غير صحيحة، وقد حذَرنا كثيراً عبر فقه التحولات وعلم السَّاعة وقلنا للطلاب: ابتعدوا عن أمرين، وهما: التَّعيين؛ أي: تعيين الأشخاص، والتَّزمين؛ أي: تحديد الزمن الذي ستحصل فيه التحولات.

لا بدّ ونحن نوصِّف واقِعنا ومرحلتنا أن نوصِّف الذي يحصل توصيفاً صحيحاً، ليس بنظرية جزئية ولا مادية، وإنما كما تعودنا دائِماً القِراءة باسم الله عزّ وجل، القِراءة بين قِيامين، بأن نقرأ المشهد قراءة

(١) قصيدة للشاعر إيليا أبو ماضي.

صحيحة بنظر إيماني يجتمع فيه الحِسّ بالمعنى والصُّورة بالحقيقة والظَّاهِر بالباطِن والأول بالآخِر والابتداء بالعاقِبة، فإذا نظرنا هذه النَّظرة بالعينين: عين الحِكمة وعين الرَّحمة، عين الشَّريعة وعين الحقيقة، عين الختم وعين الختم، حينها نُقيّم التَّوقع، فهذا التَّوقع لابد أن نبنيه بناءً صحيحاً وندرسه دراسة صحيحة حتى نعلم ما هي مواقِفنا وما هي حلولنا.

في هذه الأزمة وخلال شهر شعبان افتتحت واختتمت أكثر من عشرة دروس علمية في كتب عبر الغرف الإلكترونية التابعة لبرامج معهد المعارج، وكان هناك بثّ شبه يومي على صفحة المعهد لعلماء من آفاق وبلاد وأماكن ومواقِع فيها لسان الدَّلالة ووجهة الخير للكثير من إخواننا وأخواتنا، وهكذا ما زالت الدُّروس مستمرة، فإن الظُّروف تكيفنا ولا تتلفنا.

إنّ الرُّوح المعنوية أهم شيء لدى الإنسان، فانتبهوا إلى تفاؤلكم ومعنوياتكم، فإن الغزال سريع جداً، وأسرع من الأسد بكثير، لكن مشكلته أنه كثير التلفُّت ولهذا السَّبب يصيده الأسد، والإمام الرِّفاعي يقول: «ملتفت لا يصل»، فلو التفتنا في هذه الأحداث وهذه الجائحة فسنصاب بحيرة والبعض قد يصاب بكآبة، وسينتابه الذُّعر والرُّعب والخوف والتَّوقف والتَّفكير الطَّويل، علينا أن نستمر بأعمالنا ما استطعنا، وأن نكثر من الأوراد وقراءة القرآن، فسيدنا النَّبي ﷺ وهو يقيم شأن التَّكيف في مظهر من أشد المظاهِر الكونية التي تأتي على

هـذا العـالم وهـي قِيـام السَّـاعة، وهـل يوجـد أشـدّ مـن قيـام السَّـاعة؟ إنهـا أشـد مـن الكورونـا والأزمـات والحـروب ، فبقيـام السَّـاعة ينتهـي العـالم، مـع ذلـك قـال ﷺ: «إذا قامـت السَّـاعة وفي يـد أحدكـم فسـيلة فـإن اسـتطاع ألا يقـوم حتـى يغرسـها فليفعـل»[١]، حتـى قِيـام السَّـاعة لا يجـب أن يوقِفـك عـن العمـل والذِّكـر والعِلـم والإنتـاج والمبـادرة.

وقـد طـرح النبـي ﷺ حلـولاً فقـال: «بـادروا بالأعـمال فتنـاً كقطـع الليـل المظلـم»[٢]، وهـذه الفتـن معتمـة بهيمـة، لايـرى فيهـا الإنسـان، فأوجـد النبـي ﷺ فقـه المبـادرة في ظـل هـذه الفتـن لننجـوا منهـا فقـال: «بـادروا بالأعـمال سـبعاً هـل تنظـرون إلاّ إلى فقـر منسٍ، أو غنـى مطـغٍ، أو مـرض مفسـدٍ، أو هـرم مفنـد، أو مـوت مجهـز، أو الدّجـال فـشر غائـب ينتظـر، أو السـاعة فالسـاعة أدهـى وأمـر »[٣].

ونحـن الآن نعيـش مرحلـة اسـتثنائية قـد عصفـت بالعـالم وأربكتـه كلـه، وجعلتنـا نبحـث في دفاترنـا القديمـة ونكتشـف الفراغـات في المرحلـة المعـاصِرة، والعولمـة اليـوم تحتـضر، مـا معنـى أن العولمـة تحتـضر؟ ومـا معنـى العولمـة؟

إن المقصـود بالعولمـة هـو أن يصبـح العـالم قريـة كونيـة واحـدة في تداولـه وتناولـه، فسـيولة المعلومـات لم تعـد موجـودة، وسـهولة المواصـلات

(١) «مسند أحمد»، (١٢٩٠٢).
(٢) «صحيح مسلم»، (١٨٦) (١١٨).
(٣) «سنن الترِّمذي»، (٢٣٠٦).

لم تعد موجودة، وحركة النَّقد تأثرت، والمعرفة المشتركة تأثرت أيضاً، لذلك نحن مع العالميّة لا العولمة، عالمية الإسلام بأن يتكاتف العالم ويتساند ويتنوّع ويتداخل ويكون له دور في التَّبادل والتَّعايش، وليس معنى هذا أن نطبِّع العالم بطبعة واحِدة، طبعة ولغة وفكر من؟ إلى أين سيؤدي هذا بنا؟

الحمد لله خرجنا من العولمة وسنبقى مواكبين للعالم من خلال العالميّة، لكن من غير أن يطبّع أحد لأحد أو يشكِّل أحد الآخر أو يذوب فيه، نحن مع حفظ خصوصية وثقافة وأرضية الغير، لا أن نلغي بعضنا، والعولمة تلغي الآخر.

إذن يبدأ التَّكيف من إمكانياتك واستعدادك من المربع الذي أنت فيه، فأول شيء تشتغل فيه هو الوعي، سألوا مرة شخصاً مليونيراً: ما الطَّريق لأن يصبح الإنسان مليونيراً؟ قال: أن تقرر أن تصبح مليونيراً، هذا التَّفكير الذي يكون بالوعي ينعكس في البرامِج المختلفة في حياة الإنسان وتعاطيه وأخذه وردّه، فأول ما ننويه هو أن نحمل ملف التَّكيف في واقِعنا المعاصِر ونبدأ منه بتفتيت وتفكيك الإشكاليات لنوجِد لها حلول، فإذا خرجنا بهذه النَّتيجة وثبتت بوعينا فهذه أول خطوة على الطَّريق.

وهذا الكلام ليس للمسؤولين بل للشعوب، وبالتَّحديد لشباب المرحلة والمنهج وأجيال السَّلامة وأصحاب الرُّكن الرَّابع في حديث جبريل عليه السَّلام، الكلام لنا ولكم بأن يبدأ عندنا وعي

واضِـح بمسـألة التَّكيـف والأزمـة الرَّاهِنـة، لنخـرج مـن حالـة القلـق والأزمـة والتَّشـكك والهـوان والتَّهـاون، فنبـدأ بالتفكـير والعمـل عـلى أن نخـرج مـن هـذه الأزمـة بالاكتفـاء ونخـرج مُتكيّفـين ومبادريـن، فرأينـا النّـاس تتعـب وتجـوع فهـل نجلـس في بيوتنـا هادئـين سـاكنين ومجتمعنـا جائـع؟

علينـا أن ننتهـض ونشـارك جميعـاً في حل هـذه الأزمـة ولـو مرحلياً، وبهـذه الطَّريقـة نبـدأ نفكّـر جميعـاً بمشـاريع، وعـلى صعيـد آخـر قمنـا بعمـل مجموعـة إلكترونيـة وفيهـا مجموعـة مـن الشَّـباب الاقتصاديـين ورجـال الأعـمال مـن حولنـا وأسـميناها بـ: (استشـارات الاكتفـاء الـذَّاتي)، فلـم يبـقَ موضـوع تنمـوي فيـه اكتفـاء مثـل الطَّاقـة الشَّمسـية وزراعـة الأرض المالِحـة ومـزارع الأبقـار إلا وتداولنـاه وتناولنـاه، ليكـون لنـا دور ومسـاهمة وحضـور فيـه ولـو بإطـلاق منصّـة رقميـة تتضمـن مشـاريع الاكتفـاء التـي يمكـن للشـباب أن يتناولوهـا ويتداولوهـا وتخفـف حـدّة التوتـر وتسـاهم في تأمـين المجتمـع بأمنـه الغذائـي والمائـي والطاقـي والبـشري.

ظاهرة وباء كورونا علامة من علامات السَّاعة بين الصُّغرى والوُسطى[1]

سبحانك مولانا لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

نحن في هذه الأيام نعيش والعالم كلّه مرحلة استثنائيَّة، وهي مرحلة انتشار هذا الوباء الذي صار معلوماً اسمه وخبره وخطره، والحقيقة أنَّه ما تيسَّر لنا من قبل أن نتكلَّم في هذا الموضوع بشكل واسع، لكن عندما تابعنا وبحثنا ورأينا وقارنّا بين مجريات الأمر السَّائر وبين كثير من النُّصوص الشَّرعية لوحظ أنَّ الأمر ليس بالسُّهولة، لا أقصد ليس بالسُّهولة من حيث وقوعه، فالعالم كلّه انزعج به، ولكن من حيث حديث النَّبيِّ ﷺ عنه، كيف النَّبيِّ ﷺ أشار في أكثر من إشارة في الحديث ولَمَّح وصرَّح في أنَّ كثير من حياة الأمة، وكلمة الأمة هنا يجب أن تعرفوا أنَّها لا تخصّ أمّة محمَّد من المسلمين، ولكن تخصّ أمَّة الدَّعوة وأمَّة الإجابة، أي: المسلمين وغير المسلمين، لأنَّ هذه كلّها تدخل تحت أمَّة محمَّد، لأنَّه ليس أحد له راية مرفوعة بعد نزول الوحي إلى قيام الساعة إلاَّ النَّبيِّ محمد ﷺ، فتدخل الأمم الأخرى ممن لم يسلموا ممن يسمّون بأمَّة الدَّعوة تحت هذا المعنى الذي يجعل التقرير الشَّرعي عام على كل الأمَّة.

---

(١) أصل هذه المادَّة محاضرة ألقاها الحبيب أبو بكر العدني ابن علي المشهور في المجمع العلمي لفقه التحوُّلات بتريم، بتاريخ ٢ شعبان ١٤٤١هـ.

وقد عرفنا من خلال الدِّراسات في هذا الفقه وهو (فقه التحوُّلات) أنَّنا نعيش مراحل، وقد عرفتم فيما درستم وقرأتم أنَّ هناك مراحل تخصّ عصر الغُثاء، ونحن الآن في هذا العصر، لما قلنا نحن، نحن في النهايات، هذا العصر له دلالات وله علامات، وللكلام عنه إشارات في كلام النَّبيِّ ﷺ، وكان من ضمن المراحل هذه المرحلة التي قرِّرت في كتب فقه التحوُّلات بمرحلة الاستنفار أو مرحلة الصَّيلم.

فعندما وقعت هذه الأمور من خلال حوادث المرحلة لوحظ أنَّ أمامنا ثلاثة ظواهر ترفع مستوى الحدث إلى أن تكون علامة وُسطى- ولا أجزم بذلك- ولكن الاستقراء والمتابعة تبيِّن أنَّ هذه المسألة ليست بالسُّهولة، وأنَّها أمر بالطَّبع ربَّاني، بصرف النَّظر مَن السَّبب فيه، سواء كان السَّبب فيه جهة معيَّنة، أو كان السَّبب فيه المعاصي، أو كان السبب فيه مسائل متعلِّقة بعِلل وأمراض أصابت الأمَّة بطريقة أو بأخرى هذه مسألة أخرى، لكن هي علامة من العلامات التي أخبر بها النَّبيِّ ﷺ.

ومرحلة الاستنفار تميَّزت بأمور، ومن أكبر أمور المرحلة هو الرَّبيع العربي، وهو ما نُطلق عليه بـ(العلامة السيَّاسيَّة)، هذه العلامة السّياسيَّة كانت فيها تغيُّرات وتحوُّلات في الوطن العربي وجرت تحوُّلات وتغيرات بصورة أخرى في غير الوطن العربي، حيث حدث تمازج في القرار بين العالم العربي والإسلاميّ وبين العالم الغربيّ والشَّرقي، وصار هذا التَّمازج معروف، كالتبادل الثَّقافي والفكري والسّياسي والتعليمي،

وهـذا واضـح حيـث صـارت الأمـة العربيـة والإسـلامية دراسـاتها أو أغلب دراسـاتها في الغـرب أو في الـشَّرق وهـم يتلقّـون نـماذج العلـوم -بالطَّبـع النَّظريـة والتَّطبيقيـة- عـن العـالم غـير المسـلم في الغالـب، فيصبـح في هـذه الحالـة هنـاك تمـازج بـين العـوالم وتـكاد تكـون كلّهـا متشـابهة، فالـذي ظهـر في مرحلـة الاسـتنفار أولاً كـما ذكرنـا: هـو الرَّبيـع العـربي و آثـاره ولا زلنـا فيهـا ولا زالـت ممتـدَّة ولا شـكَّ أنهـا ستسـتمر إلى وقـت يعيِّنـه الله سـبحانه وتعـالى سـواء كان في مجرياتـه أو توسُّـعه أو آثـاره. الأمـر الثـاني: ظهـور مـا لوحـظ في كثـير مـن بـلاد الأمَّـة العربيـة والإسـلامية فضـلاً عـن غيرهـا مـن إشـاعة لعـن آخـر هـذه الأمـة أولهـا، بمعنـى: الأجيـال المتأخِّـرة صـارت تلعـن الماضـين وتلعـن التاريـخ والدِّيـن والصَّحابـة وتديـن الكثـير مـن الشـؤون التـي هـي في الأصـل ثوابـت لا ينبغـي الحديـث عنهـا، ولا أقـول أن لا بـدّ أصحـاب مذهـب محـدَّد يلتزمـون بـما نقـول، ولكـن كُلٌّ يحمـل مذهبـه، ولكـن كونـه تتحـول إلى ظاهـرة، هـذه علامـة، عرفتـم معنـى ظاهـرة؟ ظاهـرة إعـلام، ظاهـرة ثقافـة، ظاهـرة تواصـل، إذن معنـى ذلـك أن المسـألة هـي تدخـل في مفهـوم إشـارة إلى معنـى العلامـات .

فإشـاعة لعـن آخـر هـذه الأمـة كـما ورد في الحديـث عـن النَّبـيِّ ﷺ[1] دلالـة عـلى أنـه هنـاك دلالـة عقديـة، أي: تغـيّر أو تأثُّـر أو حصـول شيء في قضايـا الاعتقـاد بـين النَّـاس، ولا أريـد أبسـط هـذا الـكلام أكثـر، لأننـا إذا دخلنـا في أي واحـدة مـن هـذه العلامـات سـتأخذ علينـا

(١) حديـث: «إذا لعـن آخـر هـذه الأمـة أولهـا فمـن كان عنـده علـم فليظهـره فـإن كاتـم العلـم يومئـذ ككاتـم مـا أنـزل عـلى محمـد». «المعجـم الأوسـط»، (٤٣٠).

الوقت كلّه، لكن هذه فواصل أضعها لكم لأجل في المستقبل يستطيع أحدكم أن يتابع ذلك، كهذه الظواهر.

أيضاً من ظواهر مراحل الاستنفار الذي هي إشاعة الفواحش بكلّ معانيها في عالمنا المعاصر، بحيث أنّها استُخدِمت المستجدَّات كوسيلة من وسائل إشاعة الفحشاء، إضافةً إلى ما سُمع وما رُئِي من إطلاق حريَّات معيَّنة في حياة الرَّجل، في حياة المرأة، في حياة المجتمعات، أيضاً ما أُشيع من شمول الرِّبا وحركة التجارة العالميَّة وما إلى ذلك، كلّ هذه أشياء تدخل في هذا المعنى بأنَّها من الظَّواهر التي تدل على أنَّ مرحلة الاستنفار تحتوي على هذه المفاصل: مفصل الرَّبيع العربي، والمفصل الثاني: إشاعة لعن هذه الأمة، كذلك الفواحش والانحرافات المنتشرة سواءً كانت عبر الإعلام أو عبر السُّلوك اليومي، ثم بعد ذلك ظهور هذا الوباء وهو إحدى العلامات وهو ما نسميه بـ(فيروس كورونا).

يقول الحبيب ﷺ حول هذا الوباء بألفاظ معيَّنة، لأنَّهم كانوا يسمّونها (الطَّاعون) غالباً يطلق عليه هذا المعنى، فالنَّبيّ ﷺ يقول: «فناء أمتي بالطعن والطاعون»[1]، ونرجع إلى التَّحديد، ليس أمَّتي الأمة المسلمة، بل المقصود أُمَّة العالم، أمَّة الإجابة وأمَّة الدعوة، «... فإذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض، وأنتم بها

(١) «مسند أحمد»، (١٩٥٢٨).

فـلا تخرجـوا فـراراً منـه»[1].

يعنـي هـذا تفصيـل وقائـي يضعـه النَّبـيِّ ﷺ لـكلّ إنسـان ربّـما عـاش مرحلـة مـن مراحـل الوبـاء، وهـو ليـس الوبـاء بحـدّ ذاتـه جديـد، الوبـاء يتكـرّر، وكلّ العلامـات أحيانـاً تتشـابه، ربـما لـو تتبَّـع الإنسـان بعـض العلامـات لوجدهـا مكـرَّرة أيضـاً، لكـن المهـم فيهـا أنَّهـا مفصـل زمنـيّ أو مفصـل تاريخـي أو مفصـل مرحـلي، فـإذا نظـر إليهـا الإنسـان يعـرف أن وراءهـا حكمـة ووراءهـا عقوبـة ووراءهـا ابتـلاء، عـلى سـبيل المثـال يقـول ابـن عمـر: أن رجـلاً قـال للنبـيﷺ: «أي المؤمنـين أفضـل ؟ قـال: أحسـنهم خُلقـاً، قـال: فـأي المؤمنـين أكيـس ؟ قـال: أكثرهـم للمـوت ذكـراً وأحسـنهم لـه اسـتعداداً، أولئـك الأكيـاس»[2]، أي: العقـلاء، ثـم قـال ﷺ بحديـثٍ آخـر: «يـا معـشر المهاجريـن خمـس إذا ابتليتـم بهـنَّ وأعـوذ بالله أن تُدركوهُـنَّ: لم تظهـر الفاحشـة في قـومٍ قـطُّ حتـى يعلنـوا بهـا..»، أي: أن تصبـح لهـا منابـر، تصبـح لهـا شـبكات تواصـل، تصبـح لهـا متخصصـون إلى غـير ذلـك ممـا يُشـهد ويُلاحـظ، «إلا فشـا فيهـم الطاعـون والأوجـاع التـي لم تكـن مضـت في أسـلافهم»، فهـذه إشـارة إسـتباقيَّة مـن الرَّسـول ﷺ أنَّنـا إذا رأينـا شـيئاً مـن هـذا الـذي يـأتي مـن الأوبئـة نرجـع إلى كلام الحبيـب الأعظـم لأنّـه الأمـين عـلى الأُمَّـة في سِـلمها وفي حربهـا وفي تمـام صحَّتهـا وفي أمراضهـا وأوبائهـا، فالحبيـب عليـه الصَّـلاة والسَّـلام أشـار وهـذه كلهـا إشـارات ونـذارات ولهـذا يقـول «إلا فشـا فيهـم الطاعـون والأوجـاع التـي

(١) «صحيح البخاري»، (٣٤٧٣).
(٢) «سنن ابن ماجه»، (٤٢٥٩).

لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان»، و هذه مسألة اقتصادية، «إلا أخذوا بالسِّنين وشدَّة المؤونة»،أي: الاختلال الاقتصادي في حياتهم، «وجور السلطان عليهم»، أي: الظلم في حياة من يملك القرار، «ولا منعوا زكاة أموالهم»، أي: لم يضعوها في مكانها، «إلاّ منعوا القَطر من السَّماء ولولا البهائم لم يُمطروا»، يعني أشدُّ درجات العقوبة أن نجد عصر من العصور أنما المطر يأتي رحمة بالبهائم، وهذه الإشارة على انحراف البشر عن مراد الله سبحانه وتعالى في ما يريده من الأمَّة في مسلك الاتِّباع لما جاء به عليه الصَّلاة والسَّلام، «ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله»، العهد اللي بيننا وبين الحبيب ﷺ أركان الإسلام، أركان الإيمان، وإذا أراد الإنسان أن يتوسَّع إلى أركان الإحسان، هذا عهد بكل تفاصيلها، «ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلَّط الله عليهم عدواً من غيرهم»، وفي الحديث كلّما قرأنا جملة منه وظاهرة تعرّفنا على العقوبة التي بعد الذنب، كيف يأتي الذنب ثم تأتي العقوبة، ولا أعتقد الآن أننا محتاجين لتفسير قضية تسليط العدو علينا، يكاد أن يكون الأمة العربية والإسلامية اليوم تحت رحمة أعدائها في كلّ شؤونها سواء كانت الاقتصادية، أو الاعتقادية، أو غيرها، وبعد ذلك كشف النَّبيِّ عن سرٍّ فقال: «فأخذوا بعض ما في أيديهم»، أي أنتم عندكم ثروات، وعندكم أموال، وعندكم غاز، وعندكم الكثير فأخذها العدو ولم يتركها لكم، وعندما قال النبي ﷺ :«بعض»، «فأخذوا بعض ما في أيديهم»، إذن هذه عقوبة كونهم يفعلون ذلك، هذه عقوبة بسبب أن عندنا تقصير فيما دعانا إليه في إقامة العهد، «وما

لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيَّروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»[1]، أي بالتّحريش والمنافسة، هل ترون أنَّ هذه الظواهر ليست موجودة؟ هذه ظواهر واضحة وموجودة وصدق رسول الله ﷺ.

ويكملها الحديث الذي أخرجه الحاكم وقال: «إذا ظهر الزِّنا والرِّبا»[2]، هل تعتقدون أن كلمة ظهر مجرد أنهم يشيعوا عنها خبر؟ لا، يعني صار جهاراً، حتى في بعض البلاد صارت المرأة البغية لها حصانة، لا يمكن أحد يتكلم عنها أو يعترض عليها، أوغير ذلك، وهذه كلها إشارة إلى ما ورد في الحديث أنه «إذا ظهر الزِّنا والرِّبا»، والربا معلوم ولا يحتاج لتوضيح، وإن كان الآن في هذه الفترة في هذه العلامة التي هي علامة الوباء سقط الرِّبا إلى الصِّفر، وهذا سمعته وقرأته فيما يُعلن عنه في البورصة العالمية أنه سقطت الأرباح والتجارة الدَّولية إلى الصِّفر، كأنه لا يوجد حركة تجارية في الأرض، وهذا دلالة على قول الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، الحقّ لا يكذب، ولكن النّاس عندهم آمال وهذا الأمل هو الذي أوقع البشريّة عمومها، والأشد من هذا عندما يوقع المسلم الذي ارتبط عهده بالله، وارتبط عهده برسول الله، وصارت عنده البيِّنة بكتاب الله وبسُنَّة رسول الله، ما في هناك عذر، وهذه الغفلة والاستحواذ الذي حصل في النَّاس سببه عدم وجود التربية الشَّرعية الكافية وهيمنة التَّربية الوضعية العقلانية، هيمنت على

(١) «سنن ابن ماجه»، (٤٠١٩).

(٢) قال رسول الله ﷺ «إذا ظهر الزِّنا والرِّبا في قرية، فقد أحلّوا بأنفسهم عذاب الله»، «المستدرك على الصحيحين»، للحاكم، (٢٢٦١).

النَّاس الآن التربية العقلانية، ولذلك لاحظوا حتى في الجانب العقدي كما سمعتم كثير من الأشياء حلَّت الآن في جيل المسلمين أوصلت إلى الإلحاد، وصارت منتديات الإلحاد واضحة إلى ما يسمّونه بالليبرالية، إلى الكفر والعياذ بالله، إلى شتيمة الحق سبحانه وتعالى، وهذه كلّها تدل على أن هذه الظواهر تدخل ضمن إطار العلامات التي أخبر عنها النَّبيِّ ﷺ.

بالطبع ليس جديد كما قلنا الطَّواعين، بل كانت كثيرة منها طاعون عمواس، وهو من الطَّواعين التي كانت في عصر سيدنا عمر رضي الله عنه، وذهب فيه من الصحابة أكثر من ثلاثين ألف، وكان منهم سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه وزوجته وولده، وكان منهم كذلك أبو عبيدة عامر بن الجراح، وغيرهم من عشرات الصحابة الذين ماتوا في الوباء الذي أصاب الشام[1].

عندما نتكلم عن الوباء وننظر في حديث النَّبيِّ ﷺ، نتكلَّم هنا عن وباء محصور في الشام، وكذلك في سنة ثمانمئة وثلاث وثلاثين وقع طاعون بالقاهرة. فكان عدد من يموت كل يوم دون الأربعين، فخرجوا إلى الصحراء كما في الاستسقاء يبتهلون، فما انسلخ الشهر حتى صار عدد من يموت كل يوم بالقاهرة فوق الألف، ثم تزايد لانتشار العدوى، وهذا ملاحظ، فالآن عندما نسمع: الاحتراز، عدم الاختلاط، المحافظة على النظافة، عدم التجمُّعات، إلى غير ذلك، يجب

(١) انظر: «معجزات النبي ﷺ»، لابن كثير، (١/ ٢٧١).

علينا الانتباه ومراعاة ذلك لتجنب العدوى والمرض.

النَّاس يتعاملون مع الحالة الاستثنائيَّة كحالة طبيعية، وهذا خطأ، الحالة الاستثنائيَّة حالة خاصة، هي حالة طوارئ بصرف النَّظر إن حصل فيها ما حصل في ما لا نألف ولا نعتاد، فقد يحصل ذلك، سمعتم هنا أن أولئك رأوا أن المنع لتجمُّعاتهم مخالف للمعتاد، وبالطبع البني آدم يفسرها تفاسير كثيرة فكانت النتيجة أن التجمُّع هذا أدى إلى فشوّ المرض أكثر، وهذه مسألة تعطي للعقل مكانه، لا يعني ذلك أن مفهوم التوكُّل أن تذهب حيث ما كان ولا تضع لنفسك ترتيب، فالأمر المتعلِّق بالترتيب أو ما يسمى بالتدبير أو الأخذ بالأسباب هنا مهم في كلّ عصر، في كلّ زمان، وفي زماننا أكثر، لأنَّ الزمن الذي نحن نعيش فيه على مقدار كثرة العلاجات والأدوية، إلا أننا نعيش في مرحلة أوبئة أشدّ وأشدّ حتى أحياناً من الدواء نفسه، كثير من الأوبئة تظهر من الأدوية، كثير من الأوبئة تظهر من الأطعمة، كثير من الأوبئة تظهر من تلوُّث الطقس والمناخ، إذن معنى ذلك أننا أمام أشياء عقلاً تدل على أنَّ الأمر فيه خطورة فكيف عندما يتفشى في النَّاس مع هذه الأوبئة الموت، هنا يكون فقه خاص يسموه: (فقه المرحلة الاستثنائية)[1].

ولهذا يجب أن ندرك هذا الأمر وهنا نستفيد من العقلانية في

(١) فقه المرحلة الاستثنائية: فقه حيّ تفاعلي يؤصّل فيه أستاذي وسيّدي الحبيب أبو بكر إلى توصيف عميق ومخرجات بحلول دقيقة.

هـذا، لـذا تريـد أن تكـون عقـلاني مربـوط بالـشَّرع يجـب أن تنظـر لمسـألة الـشرع في معاملتـه مـع الأحـداث في سـاعة الاسـتثناء، كيـف يتـصرَّف الإنسـان؟ حتـى الحـق سـبحانه وتعـالى في حالـة الاسـتثناء حـوَّل الصَّـلاة إلى ركعتـين (قـصر)، جعـل صـلاة الخـوف حتـى ولـو كان راكـب عـلى حصانـه يصـلي الصَّـلاة، وفي التحـام الحـرب يصلـوا مهـما أمكنهـم ركبانـاً أو رجـالا، حالـة اسـتثنائية، دائـماً الحـلات الاسـتثنائية لهـا حكـم شرعـي، ولهـذا مـن يريـد أن يتكلَّـم في مثـل هـذه الأمـور يجـب أن يكـون عنـده معرفـة للفقـه الاسـتثنائي في المراحـل التـي نسـميها في هـذا العـصر (طـوارئ). هـذه مسـألة مهمـة وجـزء مـن الشريعـة وجـزء مـن الديـن وجـزء مـن اسـتخدام العقـل الـذي منحـه الله تعـالى للإنسـان ليقيـه مـن الـشرِّ ومـن الـضرر أينـما كان وحيثـما كان.

وقلنـا عـن هـذه الجائحـة أنهـا علامـة وسـطى أو تـكاد أن ترتقـي إلى مسـتوى العلامـة الوسـطى لأسـباب:

أولاً: أنَّ الوبـاء شـمل العـالم كلـه، وهـذه الظاهـرة لم تحصـل عـلى الإطـلاق، في الغالـب قـد يشـمل مثـلاً بلـدة محليـة، مدينـة، وحينـاً يشـمل إقليـم، ولكـن كونـه يشـمل العـالم فهـذا يعتـبر علامـة وسـطى، وفي ذات الوقـت عندمـا نـدرس الأسـباب، لمـاذا نقـول: علامـة وسـطى؟ لأنه سـاعد عـلى انتشـارها وجـود الوسـائل الجديـدة، وسـائل المواصـلات، الطـيران؛ الأسـفار؛ المراكـب؛ بـاب السِّـياحة المفتوحـة، هـذه كلهـا سـاعدت عـلى فشـوِّ هـذه العِلـل والأمـراض، لـذا كان هـذا الوبـاء مـن أهميتـه وخطورتـه

أنّه عكس نفسه على الواقع الإقتصادي، ويكاد يكون ما من بلد سواء أصيب به أم لم تصب به إلاَّ والاضطراب الاقتصادي على غاية الانحدار، فالاضطراب الاقتصادي هو ليس فقط من خلال هذا الوباء لكن هذا الوباء أكمل وأجهز، فالاضطراب الاقتصادي من عندما بدأ الرَّبيع العربي والعالم يضطرب اقتصادياً، لكن اليوم مع هذه الظاهرة زاد الأمر، ولا معنى ذلك أنه زاد بسبب خطأ في الحسابات، بل زاد هذا الفعل حى ضرب الاقتصاد العالمي والإقليمي والمحلي نتيجة الأسباب التي تكلم عنها النَّبيِّ ﷺ.

ثانياً: من عجائب هذا الوباء وخطورته وأهميته أنَّها تعطلت مواقع العبادة في العالم، ما من بلد فيها تجمُّع للطاعة والعبادة إلا كاد أن يكون إن لم يغلق كلياً أغلق جزئياً، وأكبر ما حصل مثل ما جرى في الحرمين الشريفين، صحيح قد أغلق الحرم عدة مرات في أكثر من حادثة لكن في تلك المراحل لم تكن على صفة قرار عالمي؛ كانت على صفة قرار محلي لسبب من الأسباب، القرامطة غزو الكعبة في القرن الرابع وحطَّموا الكعبة وأخذوا الحجر الأسود وتعطَّل المسجد الحرام ستة شهور[1]، هذا معلوم ولكن هذا كان ضمن دائرة البلاد العربية والإسلامية، لكن اليوم صار الوباء منتشراً في كل مكان فهذه إشارة إلى خطورة مثل هذا المعنى الذي يقال فيه أن ترتقي هذه الجرثومة أو هذا الفيروس إلى هذا المستوى.

(١) انظر: «تاريخ الخميس في أحوال أنفس النَّفيس»، (١/ ١١٨).

وتوجد ملاحظ وإشارات للنبي ﷺ يتكلَّم باختصار فيها -وهو موجود عندكم في (الأسس والمنطلقات) وغيرها- أنَّ من علامات الساعة تقطُّع السبل؛ أنا الآن أريد أن أسافر؛ لا يوجد سفر تقطَّعت السُّبل، قد لا أقول أنه لهذه المرحلة، لكن هذه الظاهرة موجودة في المرحلة، كما قلنا كثير من الأسباب تتكرَّر أو تتعدَّد بتعدُّد البلاء وتعدُّد المراحل، فهو فعلاً اليوم ظاهرة في العالم، قالوا: لا توجد مرحلة بقيت فيها الطائرات جاثمة على الأرض مثل هذه الأيام، تكاد تكون تعطَّلت الأسفار والمطارات والبواخر وما إلى ذلك، حتى في العالم الغربي مع أنّهم عقلانيين إلى حد ما، كل شي تعطل، بل وصل هذا المرض إلى مواقع السلطة، لكن لا يعني ذلك أنها عدوى فقط، فلا أحد يعديك إلا من خلقك، هذه كلّها رسائل يجعلها الله سبحانه وتعالى تصل للكثيرين، ولهذا انتشار هذه العلة والوباء في العالم قطَّع السُّبل؛ قطَّع السُّبل والطرقات والمنافذ إلى غير ذلك كما ترون وكما تشهدون، بل أناس الآن من إخواننا وإخوانكم يريد أن يرجع إلى بلده، صَعُب عليه الرجوع لما يجري من الأسباب، بل بلغ التقطُّع في السُّبل أنها تقطَّعت مدن ضمن إطار بلدة واحدة عن بعضها البعض، وهذه إشارة في المعنى أنَّ الحبيب ﷺ لا ينطق عن الهوى، ومتى وقعت مرة أو عشرة أو مئة في المراحل فهي تشير إلى أنها معنى من معاني العلامة أو من علامات السَّاعة التي هي ابتلاء أو عقوبة من الله سبحاته وتعالى بسبب ذنب أجراه الناس على ما سمعتم في نماذج الذنوب التي تكلَّم عنها النَّبيِّ ﷺ.

ثالثاً: تندرج هذه القضية مع مثلها وشبهها ضمن أحاديث لمّح فيها النَّبيِّ ﷺ للأمة، فقال: «بادروا بالأعمال سبعاً هل تُنظَرون إلا إلى فقر منسٍ، أو غنى مطغٍ، أو مرض مفسد، أو هرم مفند، أو موت مجهز، أو الدَّجال فشرُّ غائبٍ ينتظر، أو السَّاعة فالسَّاعة أدهى وأمرّ»[1]. كلمة الأعمال معنى واسع ومعنى واضح وترتبط كلمة الأعمال بما سيأتي، إذن كلّ واحدة من المفاصل التي تكلَّم عنها النَّبيِّ ﷺ في استقراء علامات آخر الزمان تحتاج إلى عمل، «بادروا بالأعمال سبعاً هل تُنتظرون إلاّ إلى فقر منسي»؛ ما هو موقفك من الفقر المنسي؟ الاكتفاء الذاتي، «أو غنى مطغٍ»، إعادة ترتيب اقتصادك، إذا رأيت الغنى طغى في الأمم والشُّعوب أو لم تخرج الزكاة أو غير ذلك، «أو مرض مفسد»، أفسد كل حياة الشعوب والأمم، بل حتى صارت الناس تخاف من الطَّعام نفسه أن يكون فيه العلل والأمراض، وهذا «مرض مفسد»، يدخل فيه هذا الوباء كما ويدخل في الموت المجهز؛ «أو موت مجهز»، ترون الآن فيما يعرض عليكم كيف يتساقط النّاس في الطُّرقات، هذا موت مجهز، وإن كنَّا قد فسَّرنا هذا فيما سبق أنَّها بالحروب التي تفنيهم بالأسلحة الفتَّاكة وغيرها، ويدخل في هذا الحديث هذا المعنى مما يدلّ على أن معاني الحديث تتجدَّد على حسب الحدث وعلى حسب التَّغير الذي يجريه الله سبحانه وتعالى في الأرض، فيقول: «هل تنظرون»، أي: بمعنى لا بد أن يكون عند الناس مبادرة، ومن المبادرة في مثل هذا المرض الوقاية، يقول المثل العربي : «الوقاية خير من قنطار علاج»،

(١) «سنن الترِّمذي»، (٢٣٠٦).

والحرص عليها كيف تقي نفسك، هو التوكُّل لا بد منه، فلا يحصل للناس شيء إلاّ بأمر الله ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، ما قال: (كتب الله علينا)، ما في أحد تمسُّه ذرة ولا شوكة يشاكها إلا وهي من حكمة الله سبحانه وتعالى، لكن كما سلّط علينا البلاء أمرنا بالدعاء، وأمرنا بالرُّجوع، وأمرنا بالوقاية، فهذا يسمّونه التوكُّل الإيجابي، أمّا التَّواكل فهو سَلبية، فالله تعالى يدعونا إلى توكل معناه: إعداد الأسباب المؤدِّية لدفع العلل، سواء كانت العلّة ذاتية في الفرد أو كانت حتى العلل في الأمّة.

واليوم لو أنّ إنساناً أصيب وهو في بيته لا بد أن يقي من حوله باحترازات معينة، فكيف لما يصيب العالم، أو كما نسمع الآن البعض يقولك: الحمد لله لا يوجد عندنا، ولو ما عندك أنت راضي للآخرين؟ الله سبحانه وتعالى إذا غضب عم، لكن ربما يكون هذا كما سمعنا من أجل البهائم ومن أجل البسطاء ومن أجل الفقراء ومن أجل المضطرِّين في الحياة ومن أجل من نكِبوا في الحروب، لا شك أنّ الله سبحانه وتعالى سيرحمهم لأنّ في حديث أن الله لا يجمع بين الوباء والسيف[1]، وهكذا تجد أن الواضح في قراءة المراحل والأحوال فيها ملاحظ إشارية من كلام النَّبيِّ ﷺ لهذا المعنى.

رابعاً: مما يشير إلى أنها علامة تبلغ إلى هذا الحد هذه المسألة

(١) قال ﷺ: «لا وباء مع السيف ولا نجاء مع الجراد»، «الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير»، للسُّيوطي (٣/ ٣٣٤).

التي تكون بسببها ما أخبر النَّبيِّ ﷺ من شيوع الفاحشة إلا أجرى الله لهم كما ذكرنا من هذه الأسباب، عرفنا أنَّ الرَّبيع العربي البعض ما يعجبه الكلام في هذا الباب لأنَّ الناس تحولت إلى مصالح معيَّنة لكن نحن لا نتكلَّم عن فلان أو عن توجه فلان، نحن نريد أن نُسقِط كل ما جاء به النَّبيِّ ﷺ على زماننا وكما قلنا من غير جزم، نحن نضع هذا من باب الاحتمال حتى لا يعتقد البعض أنّه فقط علامة وسطى وانتهى الموضوع، لكن نقول أنَّ الملاحظ والعلامات تشير إلى أنه محتمل أن تكون هذه إحدى العلامات الوسطى للأسباب التي ذكرت والتي أشيرت، ولهذا من ضمنها توظيف مستجدَّات العلوم، دائماً أسمع للإخوان في السِّلسلة وفي بعض المقاطع يتكلَّمون عن التطوُّر المعرفي وتطوُّر مخرجات الاختراع والاكتشاف، نقول: هذه نعمة أنعم الله بها على البشريَّة لأجل تيسير أسباب حياتهم، لكن كيف استخدموها؟ سواء كانت الأمَّة المحمَّدية نفسها من حيث أمَّة الإجابة أو أمة الدعوة فقد استخدموها بكبرياء؛ استكبروا على الله، استكبروا على الدِّيانة، استكبروا على الضَّوابط الشرعية، حتى استكبروا على القوانين التي هم صنعوها، فجاء مقابل لك مثل هذه الجائحة، لو أنَّ الله تعالى سيؤاخذنا بذنوبنا كما قال في القرآن ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [النحل: ٦١]، وليس صعباً على الله أن يمحو النَّاس من الوجود في لحظة، وقد فعل هذا مع قوم نوح ومع قوم لوط ومع كثير من الأُمم، وهذه إشارات إلى أنَّ مستوى معرفتنا لفقه التحولات يرفع مستوى الإيمان بالله وأنَّ كل شيء منه وإليه وأنه

لا بد من قراءة المتغيرات وفهم خطورة المستجدَّات التي خدمت الفساد وخدمت الانحراف ولا بد أن تتحملوا مسؤولية توعية الجيل الذي هو الآن فريسة المتغيرات وهو فريسة المستجدَّات سواء كان من سهولة الوصول إلى الصور الخليعة أو الأفلام المعروفة في هذا الزمان أو إلى كثير من الأمور التي تضعف الإيمان من الداخل وتقوي إيمان الإنسان بإبليس، وتقوي إيمان الإنسان بالمعصية بل وتخلق في النفس فقه المبرِّرات وفقه المغالطة أو كما قال بعضهم:

خلقت الجمال لنا نعمة وقلت لنا: يا عباد اتَّقون

وأنت جميل تحب الجمال فكيف عبادك لا يعشقون

هذه مبرِّرات، أنت يا رب خلقت الجمال إذن يجب أن نعشق، مبرِّرات وهذا فقه شيطاني، نحن أمام مجاهدة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، هذه السُّبل هدف، يقول ربي أن لكم هدف في هذا الوجود، فلا بد تجاهدوا أنفسكم، أولاً تجاهدوا أنفسكم من حيث بناء المعرفة العلميّة التي هي تدلك على الطريق السَّديد، ثمَّ كذلك بناء الطَّاعة، القيام بالواجب في الطَّاعة، فكم من أناس حفظهم الله بسجودهم، حفظهم الله بدعائهم، عندكم في القرآن قوم يونس قال تعالى فيهم: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [يونس: ٩٨].

فمن هذه الأوبئة التي تصيب الأمَّة بسبب هذه العلل التي

ذكرناها، ومن ضمنها كما سبق ذكره متغيِّرات الرَّبيع العربي، وذكرنا لكم منها أيضاً إشاعة لعن آخر هذه الأمَّة لأولها، وانتشار الفواحش والعلل القِيمية والأخلاقية والوقوف أمام النُّصوص الشرَّعية بعلل وتحدي كمن يريد أن يسقط قيمة الإرث بين الرجل والمرأة أو المساواة بين الرجل والمرأة في كلّ شيء، نحن مؤمنين أنّ المساواة الشرعية قائمة في الحقوق موجودة، أما في الوظائف لا، فإنّ لكل منهم وظيفة، المرأة لها حقوق والرجل له حقوق معروفة، ومنها مشتركة، أما الوظائف لا، هناك وظائف للرجل وهناك وظائف للمرأة، بل بمعنى أدق وظائف للذكر ووظائف للأنثى، فإذا اتَّحدت وظائف الذكر والأنثى كما يفعل الشيطان الآن؛ مثلما أشاع في الشُّعوب زواج المثلية، أو كما أخبر النَّبيِّ ﷺ أنه في آخر الزمان يكتفي الرِّجال بالرِّجال والنِّساء بالنِّساء تعرف أن هنا نذير خطر كما فُعِلَ لقوم لوط، لأن الاسلام بنى قيم ليست مبنية على التعبُّد فقط وحده، وإنما على حفظ الشُّعوب من الإنحلال الخلقي بما فيه من الأوبئة والأمراض والأعراض والأغراض التي تفتك بالشُّعوب، فالله تعالى حريص على عباده ومن حرصه عليهم أنزل اليهم ضوابط شرعية وأمرهم أن يلتزموا بها لمصلحتهم فلما خالفوها وذهبوا إلى ما اخترعته عقولهم وقعوا في هذا البلاء نسأل الله الحفظ السلامة.

إذن مرحلة الغثاء كما هي مقسمة في كتب فقه التحولات آخر مراحلها الآن والتي نحن فيها هي مرحلة الاستنفار[1]، وذكرنا

(١) والمتابع لكتابات سيدي الحبيب يجد تقسيم مرحلة الاستنفار إلى ثلاث محطّات

لكم فيها المفاصل الواضحة التي تجعل بعض الأمور تصير إلى هذا المعنى من العلامة الوسطى، كما جاء في الحديث عنه ﷺ: «لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها..»[1]، حتى يعلنوا بها ذكرنا معناها، فالفاحشة موجودة في كلّ العصور ولكن عندما تتحوَّل من عمل مخفي والعياذ بالله كالزاني أو شارب الخمر أو اللاَّئط أو من يقع في الحرام كان مخفي وصار معلن، حتى صار يفتخر بها كما نرى الآن في النوادي اللَّيلية، ونرى في بعض المجتمعات يتزوَّج الرَّجل بالرَّجل والمرأة بالمرأة، ونوادي العراة وما شاكلها هذه صارت الآن معروفة، لكن هذه أسباب الشرّ التي تصيب الشُّعوب والأمم، هي أصابت الكفار في البداية وكفاهم كفرهم لو لم يعاقبوا، لكن عندما انتشرت إلى أمَّة لا إله إلا الله وهو ما يسمى عندنا في فقه التحولات بـ(الاستتباع)، هنا شملت العقوبة لأجل أن يعرف أهل الإسلام أنَّ لهم خصوصيَّة وأنّ لهم شرف يجب أن يحافظوا عليه فبه يحفظ الله الكفار؛ لكن إذا سقط المسلمين بما وقع به الكفار واستتبعوا وصاروا كما قال رسول الله ﷺ: «لتتبعنّ سَنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضبٍّ لسلكتموه»[2]، وهذا العذاب الذي ترونه ومثل هذه الآيات إنما هي رسالة قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا

مفصلية، الأولى: تنفّس الشعوب تحت مظلة الكفر بما يسمّى ويُعرف بـ (الربيع العربي)، الثاني: صراع الرايات الصفراء والسوداء (الطائفية)، الثالث: معارك الذّهب وحرب المياه.

(١) «سبق تخريجه».

(٢) «صحيح البخاري»، (٣٤٥٦).

لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦].

لاحظوا كلمة (شيء) شيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، نسأل الله السلامة.

هذا ما بدا لي في هذا الموضوع وأحببت أن أضعه عليكم في هذه السَّاعة الطيبة المباركة وإن شاء الله إذا استجد شيء في هذا الباب ولا زالت الأمور أمامنا واضحة تحتاج إلى بحث وإلى مراجعة إن شاء الله نجلس مجلس آخر[1].

(١) هذه المعالجة المعمقة في المجتمع العلمي لفقه التحوّلات مساهمة حيّة تفاعليّة لفقه التحوّلات في هذا الحدث العالمي والذي لا نزال نعيش هذه الأيام آثاره المتنوعة والمتعددة، والمعالجة دوماً مسبوقة بالتوصيف.

صَوت إبليس وعَين الدَّجال[1]

مصادر الشَّر الأربعة في العالم

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨].

وجَّه الله سبحانه وتعالى النَّبيّ ﷺ ومِن ورائِهِ أمَّته إلى أدب الاستعاذة من الشيطان وشروره؛ لأنَّ للشَّيطان همزٌ ومحضرٌ وأدوات وآليَّات قد ذكرها الله سبحانه وتعالى ضمن تحذيره من المشروع الشَّيطاني في القرآن، فقد قدَّم الشَّيطان مشروعاً استراتيجياً وبرنامجاً ممتداً وطلب من الله أن يُنظِرَه إلى يوم الوقت المعلوم.

وأمام هذا الوقت الطويل سيقعد على الصِّراط المستقيم لِيَحتَنِك ذريَّة بني آدم؛ ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٢]، والمراد من ذلك أن يخرجهم عن المقصود؛ يُقال في احتناك البهيمة أو الدابَّة أنَّه تغطية عينيها وإخراجها عن المسار ثم صرفها إلى جهة أخرى[2]، وهذا

---

(١) هذا عنوان لعدة مقالات تتعلق بإبليس والدجال والفتن، أصلها برامج وكلمات ودروس ألقاها المؤلّف في عدة مجالس وأماكن وفضائيات.

(٢) روى القرطبي في تفسيره: «ومعنى (لأحتنكنَّ) في قول ابن عباس: لأستولين عليهم. وقاله الفراء. مجاهد: لأحتوينهم. ابن زيد: لأضلنهم. والمعنى متقارب، أي لأستأصلن ذريته بالإغواء والإضلال، ولأجتاحنهم. وروي عن العرب: احتنك الجراد الزرع إذا ذهب به كله. وقيل: معناه لأسوقنهم حيث شئت وأقودنهم حيث أردت. ومن قولهم: حنكت الفرس أحنكه وأحنكه حنكا إذا جعلت في فيه الرسن. وكذلك احتنكه»، (١٠/ ٢٨٧).

المقصود الإبليسيّ والمشروع الشَّيطانيّ بأن يجلس للإنسان على الصِّراط المستقيم تارةً بالوسوسة وتارةً بالأمانيِّ وتارةً بالتَّحزين.

وقد ذكر الله في القرآن مئتين وثلاثة وستين وسيلة وآليَّة ومدخلاً للشَّيطان على بني آدم، ويستطيع الإنسان أن يغلق هذه المداخل بالاستعاذة والتحصُّن بالله، وإنَّ الاستعاذة في مفهومها القرآني واسعة، بل وتشمل سِوى الشَّيطان من الشُّرور التي قد تمسّ الإنسان، فسورَتَي الفلق والنَّاس تسمَّيان: (المعوِّذتين)؛ قال تعالى في الأولى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، وفي الثانية: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، والعجيب أن هاتين السورتين بينهما مناسبة؛ ففي السُّورة الأولى وهي الفلق نستعيذ بربِّنا من ثلاثة أشياء، وفي السورة الثانية وهي الناس نستعيذ ونلوذ بثلاثة أوصاف لله من شيء واحد؛ ففي سورة الفلق نقول:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي: توجهنا إلى الله. ﴿أَعُوذُ﴾ أي: نلجأ ونتحصَّن ونتوجَّه إلى الله، ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ وهو أول مصدر من مصادر الشَّر، ثم: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ ثاني مصدر من مصادر الشّر، ثم: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ المصدر الثالث للشَّر.

بينما في سورة النَّاس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ * مَلِكِ ٱلنَّاسِ * إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ * مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٤] أي: توجهنا

إلى ربنا ومالكنا وإلهنا أن يعيذنا من هذا الوسواس الخنَّاس، لذلك قال العلماء: إنَّ مصادر الشّرور في العالم أربعة لا تخرج عنها:

١. الوسواس الخنَّاس ببرنامجه وحزبه وأولياءه ومن في دائرته.

٢. والحاسد إذا حسد.

٣. والنفَّاثات في العقد.

٤. والغاسق إذا وقب.

ومن معاني الفلق: الفجر، ومن معانيه أيضاً: كل ما يفلق عنه الوجود والحياة[1] قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥]، فالمقابلة هنا تكون بأنَّنا نستعيذ بالله خالق الفجر بضيائه ونوره من شرّ كلِّ غامض ومستور، ونستعيذ أيضاً بالله القادرفالق الحبِّ والنوى بقدرته المطلقة على الخَلق من شرورخلقه.

والغسق: الظلام، فيسدل اللّيل ستوره وعتمته ليغمر الأرجاء ويستر كلّ ما يحاك في الظلام من نتاج شياطين الإنس والجن.

إنَّ هذه الأربعة: الوسواس الخنَّاس، والغاسق إذا وقب، والنفاثات في العقد، والحاسد إذا حسد تمثل مصادر الشَّرّ الأربعة في العالم، وإنَّ لله سبحانه وتعالى حكمة في المدافعة بين الخير والشَّر والحقِّ والباطل والطَّهارة والنَّجاسة وبين أهل السّعادة وأهل الشّقاوة،

(١) انظر: «تفسير القرطبي»، (٢٠/ ٢٥٥).

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وفي قراءة: ﴿ولَوْلا دفاعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ ببَعْضٍ﴾[١] إذن لله مُراد في أن يجعل دار الدنيا دار امتحان، وقد جعل الموت والحياة ليبلونا أيّنا أحسن عملاً، وفي المثل الدارج عندنا نقول: «عند الامتحان يُكرم المرء أو يُهان»، لذلك لواء سيدنا محمد في أرض المحشر له اسمين: لواء الحمد، ولواء الكرامة.

ما المعنى الذي يقصده الحقّ سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾؟ إنّ من يقرأ في تفسير هذه الآية أو ينظر في معانيها سيجد أقوالاً متعددة للعلماء، أوضح ما في الموضوع رواية السيدة عائشة قالت: «أخذ النَّبيّ ﷺ بيدي، فإذا القمر حين طلع فقال: «تعوذي بالله من شر هذا، هذا الغاسق إذا وقب»[٢]، وقال الطاهر ابن عاشور في «التحرير والتنوير»[٣]: أي: «إن الغاسق إذا وقب هو اسم جامع لكل الأعمال الظلامية، ولكل عمل يدبر بليل أو يحصل في خفاء»، وما أكثر الأعمال الظلامية التي تُحاك لأمة سيدنا محمد في هذه الأيام، مثلاً: برنامج تهويد القدس، وهو برنامج طويل لم يدبَّر في ليلة أو ليلتين، وقد حيك في أكثر من مئتي سنة، فالمخرج والمطبخ العالمي يعمل على تفكيك الأمة قليلاً قليلاً ويعمل على المشاعر والوعي،

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر»، لابن الجزري (٢/ ٢٣٠٩).
(٢) «السُّنن الكبرى»، للنَّسائي، (١٠٠٦٥).
(٣) «التَّحرير والتنوير»، لابن عاشور، (٣٠/ ٦٢٠).

ونتاج هذا العمل هو ما وصلنا إليه اليوم.

فالغاسق إذا وقب هو جزء من أعمال الشَّر في العالم والتي تكون على مستوى الأفراد والشّعوب والأمم، وكلّ عمل يحاك تحت الطاولة أو خلف السِّتار في عتمة اللَّيل وسواده وظلمته هو الغاسق إذا وقب، وهذا ما علّمنا ربنا أن نستعيذ منه ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣]، فهو كلّ عمل ظلماني أو ظلامي ليس في بياض النهار أو وضوح من الأمر.

ثمَّ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]، وهنا جاءت ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ بصيغة جمع المؤنث السالم إشارة إلى أن هذا العمل قد يكون عملاً نسائياً، وأيضاً قد يكون عملاً جماعياً، فجمع المؤنث السّالم يدل دائماً على الجماعة ويدلّ على المجموعة، فهذا العمل قد انخرطت فيه مجموعات وأصبح مظهراً للتكسُّب، و«العقد»: جمع عقدة، وهي ربط في خيط أو وتر[1]، وهي التي تؤزم المشكلة، وقد يكون هذا في مظهر من مظاهر السّحر والنّفث وما يسمّى بالحجابات والأعمال الشَّيطانية، وقد يكون كذلك جزءاً من إدخال العقد في مسيرة كلِّ برنامج.

ثم قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]، والحاسد: إنسان مريض غير قنوع معترض على قضاء الله ينفعل ويشتهي كل ما في أيدي الناس ولا يقنع بما في يده، إن الحاسد إذا حسد ـ

(١) «التحرير والتنوير»، (٣٠/ ٦٢٨).

والعياذ بالله ـ نظرته تمرض الصحيح وتجلب التَّعب، قال عليه الصلاة والسلام: «العين تدخل الرجل القبر وتدخل الجمل القدر»[1].

قالوا: إذا كانت نظرة الحاسد تشقي وتمرض فإن نظرة المحب تشفي وتسعد.

وإنَّ أنواع النظرات كثيرة في القرآن ـ إن تتبعناها ـ، فالقرآن تكلّم عن نظرات إيجابية ونظرات سلبية، منها مثلاً: ﴿ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ [المدثر: ٢١ – ٢٢]، ومنها: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾[الصافات: ٨٨]، ومنها: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨].

إنَّ أنواع النّظر متنوعة بتنوُّع أصحابها لذلك نتعوَّذ بالله من نظرة الحاسد والحاقد والناقد والكائد والعائن، كما أخبر سبحانه: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]، لأن نظرة الحاسد تحوي سيالات عصبية وانفعالات بشرية وتأوهات ذاتية واعتراضات على الأقضية الربانية وتشوُّهات معرفية أمام الأقدار الإلهية المنزلة، حيث تجد الحاسد يصادم بانفعالاته ما فعل الله سبحانه وتعالى وقدّر .

أما الجزء الرابع والأخير فتكلّمنا عنه سابقاً وهو الوسواس الخناس ومشروع الشَّيطان في الأرض والتكنيكات الشَّيطانية التي ذكرها الله لنا، فعرفنا كيف يأتي الشَّيطان للإنسان في يقظته ومنامه وما هي وعود الشَّيطان، لذلك على الإنسان أن يحاول دفع الشَّيطان ما استطاع

(١) «مسند الشهاب القضاعي»، (١٠٥٧).

متبعاً منهج النَّبيّ ﷺ بأن يسدِّد ويقارب، فعن أبي هريرة أن النَّبيّ ﷺ قال: «إن الدِّين يُسر، ولَن يُشادَّ هذا الدّين أحدٌ إلا غَلَبه، فسدِّدوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والرَّوحة وشيءٍ من الدُّلجة»[1].

خطر العمل الإبليسي المُمَنهج

إنَّ خلق الإنسان مسبوق بتكوينات خلقية أخرى مختلفة في هذا الوجود في أرضه وسمائه وبرِّه وبحره، فهناك التَّكوين الملكي وهناك التَّكوين الجنِّي، والله تعالى قد تأذن بأن يجعل خليفة عنه في الأرض وله حكمة في ذلك سبحانه، وقد حدثنا في القرآن فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، أي: سأجعل في الأرض متصرِّف ومستخلف أعطيه أسمائي وأتجلى عليه بآلائي، والملائكة بأدبها ونورانيتها قالت: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، أي: نحن نسبِّحك ليلاً ونهاراً فنقول: سبوح قدوس. وهذا ذكرها التنزيهي الذي يحمل معنى السَّلام والنزاهة، لكن مراد الله عزَّ وجل أوسع من ذلك.

ومن قبل ذلك تعجبت الملائكة وقالت: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠]، أي: هل ستجعل في الأرض من يسفك الدم؟ وإن أخطر شيء في العالم وعلى الخلفاء في الأرض هو سفك الدم، فقال الله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، أي: أنا سأعلِّم هذا المخلوق أسمائي وسأرفعه بالعلم إلى رتبة يتنزَّه بها عن

(١) «صحيح البخاري»، (٣٩).

سفك الدَّم ويصبح بها مظهر خلافة كاملة عن الله، وأريد منكم أن تسجدوا له حينما أُظهرهُ لسرِّ النورانية التي سأجعلها فيه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

حصل هذا المشهد العجيب وأمر الله تعالى رؤوس المخلوقات وعلى رأسها الملائكة أن يسجدوا لآدم، وإذا بـ«عزازيل» أو «أبو مُرة» أو«إبليس»، على تسمياته المختلفة في الكتب يظهر في مظهر الاعتراض ويبدأ بإيجاد مبرِّرات بأسلوب عنصري عرقي تكويني لعدم انصياعه لأمر الله الخالق: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، وفي آية أخرى: ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١].

إنَّ أكثر الكلمات التي تورث الكراهية أربعة: (أنا) و(نحن) و(لدي) و(عندي)، لأنّ فيها نوعاً من التملُّك والأنوية والأنانية، وإبليس هو إمام هذا المسلك، فقد فضَّل عنصرية النَّار على عنصر الطين، ونحن في الطبائع نعلم أن النار في قيمتها وإمكانياتها كعنصر مجرَّد أعلى من الطين، لكن الله تعالى لم يجعل خلقة آدم طيناً مجرَّداً لا يتمالك، وإنما جعل فيه النَّفخة والنَّفس وهي (التسوية)، والإنسان توليفة عناصر، فالشيطان هو أول من أبغض وكره بل وصدَّر خطاب الكراهية في ذراريه وقبيلته وجماعته وتوعد وتعهَّد حينما أُخرِج من حضرة الحق فقال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، أي: سأنزل وأحتنك ذرية آدم بقوله: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ [الإسراء: ٦٢].

توعَّد الشيطان أن يخرجهم عن خطِّهم ومحرابهم وسِلمهم وأمنهم ضمن خطط وطرق، وقد ذكر الله تعالى في القرآن مداخل الشيطان على الإنسان، كيف ينفخ فيه الغضب وكيف يؤجج فيه موضوع الشَّهوة وكيف يعده بالفقر، فالله تعالى لم يعد عباده بالفقر فهو الغني، بل دائمًا يعد بالفضل والرِّزق والمغفرة: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، فانظر إلى الفرق بين دعوة الرَّحمن ودعوة الشَّيطان، إنَّ دعوة الرَّحمن محبة وسِلم وسلامة، قال ﷺ: «فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»[1]، أما دعوة الشيطان فهي كراهية وتوتُّر واستحلال للدماء والمحرَّمات، فإنَّ للشيطان منظومة وهيكلية وأسلوب في تعامله مع الإنسان، والعجيب أن أكثر شيء يفرح به الشَّيطان قبل الكفر والمعصية والإضلال، هو أن يأتيه أحد عفاريته وأخدانه وخدامه وأجناده ويقول له: أنا الَّليلة أفسدت بين رجل وامرأة وفرّقت بينهما وغيّرت قلوبهما وفكَّكت سلم البيت ودمَّرت المحبة فيه، قال رسول الله ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت»[2].

(١) «صحيح البخاري»، (٦٧).
(٢) «صحيح مسلم»، (٢٨١٣).

الثالوث الوَبائي

يقول شيخنا أبوبكر المشهور حفظه الله تعالى أنّ هناك ثالوثاً وبائياً في العالم مكوَّن من: إبليس، والدَّجال، وأهل الكفر في كل زمان، والإنسان في أصله ليس كافراً، فالكفر طارئ على بني آدم قد جاء من عند إبليس الذي عقيدته الكفر، أما الدَّجال فعقيدته السِّياسة، وأهل النُّور في كلّ زمان يريدون أن يستنقذوا النَّاس من الكفر وأن يستعلوا على أوراق السِّياسة وأبعادها، فماذا يريد أهل الظُّلمة؟ ماذا يريد أهل الحجاب؟ ماذا يريد أهل الانقطاع؟ قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة: ٣٢] وفي آية أخرى: ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ [الصَّف: ٨]، وكلما زادت مساحة النُّور في حياة الإنسان ضعفت مساحة الظَّلام، وكلما زادت كتلة النُّور في العالم ضعفت كتلة الظَّلام.

وقد بيَّن بين لنا الله سبحانه وتعالى في كتابه معالم المشروع الإبليسي، وذكر لنا رؤية إبليس وأسلوبه في الحياة، فكل صوت يحدثك بأنه سيصيبك الفقر هو صوت ظلامٍ إبليسي، قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، فيدخل الشيطان على النَّاس بالأماني، ويأتيهم بالتَّزيين، وفي المنام يأتيهم بالتَّحزين، عمله في اللَّيل والنَّهار، ماذا يريد الشيطان؟

في سورة الإسراء توعّد الشيطان وقال: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٦٢]، إذن مشروعه هو احتناك ذرية بني آدم، ما

معنى الاحتناك؟ نذكر مثال تقريبي: كدابة أو بهيمة تعمل في حقل وحرث، ثم يوضع حائِل على عينها قطع وحجب، ثمَّ إخراجها إلى طريق آخر، ثمَّ أخذها في ذلك الطَّريق المخالِف، وهكذا عمل إبليس أن يخرجنا عن الصِّراط المستقيم فقال تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، ولكن أهل النُّور فيما قاله سبحانه عنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

أمارات السَّاعة ومظاهر الانحرافات والفتن

إنّ الفتن أنواع، منها العامة الخاصة، ومنها فتن المحيا والممات، وهذه الفتنة قضية تتعلق بجانب ينظر فيه الإنسان ويبحث عن الحكمة فيه؛ لأن النَّبيّ ﷺ في آخر مئة يوم في حياته قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى في أواخر ذي الحجة ومحرم وصفر وأوائل ربيع أول حينما رجع من حجَّة الوداع قد نزل عليه قول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]، فكمُل الدين وتمت النِّعمة، ثم جاء سيدنا جبريل إلى النَّبي ﷺ في صورة أعرابي وسأله أربع أسئلة، لخَّصت معالم وعرى الدِّين في الثلاث وعشرين سنةً التي

نـزل فيهـا الإسـلام بخلاصـات: مـا الإسـلام، مـا الإيـمان، مـا الإحسـان؟ وفي المجلـس ذاتـه وضمـن وحـدة شرعيـة واحـدة ووحـدة موضوعيـة واحـدة سـأله سـؤالاً عـن المتغـيرات وهـو: متـى السـاعة؟ قـال :«مـا المسـؤول بأعلـم مـن السـائل، فسـأله عـن أماراتهـا» [١].

وإلى يومنـا هـذا تعمـل الأمّـة المحمّديـة في جـواب الإسـلام، وهـو الأركان الخمسـة وتفصيلـه في الفقـه ، وفي الإيـمان وأركانـه السـتة وتفصيلهـا في العقائـد، وفي الإحسـان وتفصيلـه في المراقبـة والمشـاهدة في علـم السـلوك أو التزكيـة، لكـن غُيِّـبَ أو تغيَّـب الـكلام لظـروف ذاتيـة وموضوعيـة عـن السُّـؤال الرابـع الـذي هـو جـزء ممـا يـندرج تحـت هـذا العِلـم وهـو الفتـن ومُضـلات الفتـن والأشراط والملاحـم، وهـذا هـو العلـم الـذي يسـمَّى بعلـم السَّـاعة، قـال الله في سـيدنا عيسـى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [الزخـرف: ٦١]، وفي حديـث ابـن مسـعود في «المعجـم الكبـير» للطـبراني: قـال «يـا رسـول الله، هـل للسَّـاعة مـن علـم تعـرف بـه السَّـاعة؟ فقـال: «نعـم يـا ابـن مسـعود، إن للسـاعة أعلامـاً وإن للسـاعة أشراطـاً»[٢]، وفي روايـة أحمـد في «المسـند»: «ولكـن أخبركـم بمشـاريطها»[٣].

وعندمـا تكلـم النَّبـيّ ﷺ في الفتـن قـال في فتنـة مقتـل عثـمان: « فإنهـا أوَّل الفتـن»، وإذا أردتَ أن ترسـم خطـاً بيانيـاً وتتبـع مواقـع

(١) «صحيح البخاري»، (٥٠)، و«صحيح مسلم»، (٥) (٩) .
(٢) (١٠٥٥٦) .
(٣) «مسند أحمد»، (٢٣٣٠٦).

الفتن في الأمَّة المحمدية فانظر قول النَّبيّ ﷺ: «وآخرها الدَّجال» [1]، وفي «الصحيحين»[2] تكلّم النَّبيّ ﷺ عن مظهر من مظاهر الانحراف في الأمة، لما جاءه رجل فقال له: «اتق الله يا محمد، فقال: من يطع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني»، ثم قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «إن من ضئضئ هذا ـ أو: في عقب هذا ـ قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدِّين مروق السَّهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»، وفي رواية أخرى قال: «كلما خرج قرن قطع، أكثر من عشرين مرة، حتى يخرج في عراضهم الدجال» [3]، قالوا: هم من عشرة إلى عشرين جيل، أولهم في زمن سيدنا النَّبيّ ﷺ فكرياً وآخرهم في زمن الدَّجال عملياً.

يقول سيدنا علي بن أبي طالب: «إن آخر خارجة تخرج في الإسلام بالرَّميلة رميلة الدَّسكرة، فيخرج إليهم الناس فيقتلون منهم ثلثاً ويدخل ثلث ويتحصن ثلث في الدَّير دير مرمار، فمنهم الأشمط، فيحضرهم الناس فينزلونهم فيقتلونهم ، فهي آخر خارجة تخرج في الإسلام» [4]، إذن معنا معلومات واضحة من النَّبيّ ﷺ حيث قال: «فارس نطحة أو نطحتان ثمّ لا فارس بعدها أبداً» [5]، فبين النَّبيّ ﷺ

(١) «مصنف ابن أبي شيبة»، (٣٥٩٢٠)، و«المجالسة وجواهر العلم»، للدينوري، (٢٨٦).
(٢) «صحيح البخاري»، (٣٣٤٤)، و«صحيح مسلم»، (١٤٣) (١٠٦٤) .
(٣) «سنن ابن ماجه»، (١٧٤).
(٤) «مصنف ابن أبي شيبة»، (٣٧٦٢٢).
(٥) المصدر السّابق، (١٩٣٤٢).

مـدة صلاحيـة الشـعوب والحـركات في العـالم .

ويقـول سـيّدنا عـليّ رضي الله عنـه: «مـا مـن ثلاثمئـة تخـرج إلا ولـو شـئت سـميت سـائقها وناعقهـا إلى يـوم القيامـة» [١]، ويقـول سـيّدنا حذيفـة رضي الله عنـه: «مـا مـن صاحـب فتنـة يبلغـون ثلاثمئـة إنسـان إلا ولـو شـئت أن أسـميه باسـمه واسـم أبيـه ومسـكنه إلى يـوم القيامـة، كل ذلـك ممـا علَّمنيـه رسـول الله ﷺ» [٢].

هـذا علـم نبـوي وتأييـد مـن الله لرسـوله ﷺ، فـالله عـز وجـل قـال عـن نبيّـه: ﴿وَمَاهُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكويـر: ٢٤]، ضنـين أي: ومـا محمّـد عـلى الوحـي ببخيـل يقـصِّر في تبليغـه وتعليمـه [٣]، والله عـزّ وجـلّ الـذي علَّمـه حيـث قـال في كتابـه : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النسـاء: ١١٣]، وقـال سـبحانه: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طـه: ١١٤].

وحتـى في شـأن الـروم قـال ﷺ: «والـروم ذات القـرون أصحـاب بحـر وصخـر، كلّـما ذهـب قـرن خلـف قـرن مكانـه هيهـات إلى آخـر

(١) «الفتن»، لنعيم بن حماد، (٢٨) (١/ ٣٤).
(٢) المصدر السّابق، (١٨) (١/ ٣١).
(٣) «تفسير الصابوني»، (٣/ ٥٠٠).

الدَّهـر، هـم أصحابكـم مـا كان في العيـش خـير»[1]، وذكـر فيهـم ـ في «صحيـح مسـلم»[2] ـ خمـس صفـات في منظومتهـم المجتمعيـة ونمطهـم الـذي يتحركـون فيـه ، حيـث يكـون ذلـك مـن وسـائل ثباتهـم واسـتدامتهم إلى آخـر الزمـان.

من صور مسلك الدَّجل في الأجيال والشُّعوب

تـبرز في العـالم اليـوم ظاهـرة السِّـحر والشـعوذة والكهانـة والعرافـة مـن شـؤون الدجـل المختلفـة، يتسـوَّر فيهـا النـاس محاريـب الغيـب ويسـتدفعون فيهـا البلايـا والأسـقام والأوجـاع بأسـلوب غـير شرعـي لم يـأذن بـه الله يزيـد الإنسـان رهقـاً وزهقـاً، ولقـد ورد في أحاديـث النَّبـيّ ﷺ أنـه قـال: «مـن أتـى عرّافـاً فسـأله عـن شيء لم تقبـل لـه صـلاة أربعـين ليلـة»[3].

لكننـا نـرى اليـوم عـلى الشاشـات والقنـوات وفي وسـائل التواصـل المختلفـة مـا يسـمى بانفعـال الظواهـر، واسـألوا أولادكـم كـم مـن مسلسـل وبرنامـج كرتـوني رأوا فيـه انفعـال الظواهـر عـلى يـد سـاحر أو شـقي أو مشـعوذ أو بتمتـمات وهمهـمات شرقيـة وغربيـة ! وهـذا للأسـف يحـدث اليـوم في داخـل بيـوت المسـلمين، ونحـن نقـرأ في كلام الله : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم

(١) «مسند الحارث»، (٧٠٢).
(٢) انظر: «صحيح مسلم»، (٣٥) (٢٨٩٨).
(٣) «صحيح مسلم»، (١٢٥) (٢٢٣٠).

﴿مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح: ٢٩]، يأمرنا القرآن بأن نكون أشداء على مسلك الكفر والدَّجل والكذب، فإن لم نكن أشداء أمام هذه المدخلات إلى عقول وقلوب أولادنا وبناتنا وساحات وعينا ومشاعرنا فأين سنكون أشداء؟

لا للحماسات والمرجليات في غير مكانها وموقعها، علينا أن نكون أشداء بأن نأكل مما نزرع ونلبس مما ننسج ونركب ما نصنع، أشداء بأن نحافظ على هويتنا في أولادنا، أما أن نصبح كما قال محمد إقبال: منزوعي العاطفة الدينية، عقولاً وقحةٌ وقلوباً لا تعفُّ عن الحرام بمظاهر اختراق لدواخلنا وبواطننا، صورة الواحد منا مسلم لكن كيانه من الداخل لا ندري على أيّ فكر أو ملَّة أو شعار فهذا ما لا نريده.

ومن هنا نجد في كتاب: «التليد والطارف»، و «الأسس والمنطلقات»، تفريغاً وتفصيلاً واضحاً من شيخ فقه التحولات الحبيب أبو بكر المشهور بين الدجل والدّجاجلة والدّجّال، وأن ظاهرة الدّجل بما فيها من تعمية وإضلال وقلب للحقائق هي الأخطر، ويحتاج الباحث إلى متابعة معمّقة في موقع العمل الدّجّالي وظهور آثاره في بيت القرار الإسلامي مبكراً في الصّدر الأول والزمن الأطهر.

فتنة المسيح الدَّجال

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]، هناك فتن عامَّة وفتن خاصَّة، أما الفتنة الخاصَّة فهي التي تصيب كل إنسانٍ في ماله وأهله وولده، وهنالك فتن عامَّة تنازل الأمَّة، وهناك فتن وهناك مضلات الفتن، والنَّبيّ ﷺ كان يستعيذ من أبرز فتنةٍ حياتيَّة وأبرز فتنة مماتيَّة وهي فتنة المسيح الدجال وفتنة القبر.

ويروي لنا عدد من الصَّحابة أنهم كانوا يسمعون النَّبيّ ﷺ وهو في ختم الصلاة من بعد التشهُّد والتحيات وقبيل التسليمات يدعو بأربع دعوات يستعيذ بهنَّ من فتن المحيا والممات وفتنة القبر وفتنة المسيح الدّجال[1]، قالوا: هذا دعاء جامع يعوذ فيه النَّبيّ ﷺ بالله من جميع فتن المحيا والممات وهذا الشقّ الأول، أما الشقّ الثاني فقد ذكر سيدنا النَّبيّ ﷺ السَّقف الأعلى في فتن الممات التي هي فتنة القبر، وذكر السَّقف الأعلى في فتن المحيا وهي فتنة الدَّجال.

وفي خبر هذه الفتنة قال ﷺ: «ما كانت من فتنة ولا تكون حتى تقوم الساعة أعظم من فتنة الدّجال، وما من نبيٍّ إلا وقد حذَّر قومه»[2]، وعن حذيفة بن اليمان قال: ذُكر الدَّجال عند رسول الله ﷺ فقال: «لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدَّجال، ولن ينجو أحدٌ مما قبلها إلا نجا منها، وما صُنِعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرة ولا كبيرة، إلا تتَّضِعُ لفتنة الدَّجال»[3]، بل وجاء عنه ﷺ في الحديث الذي

(١) انظر: «صحيح البخاري»، (١٣٧٧)، «صحيح مسلم»، (١٣١) (٥٨٨).
(٢) «المستدرك على الصحيحين»، للحاكم، (٦٤).
(٣) «مسند أحمد»، (٢٣٣٠٤).

يُروى في الصحيحين: «إنّي لأنذركموه، وما من نبيّ إلا أنذره قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور»[١]، وقد سأل الصحابة النَّبيّ عنه فقالوا: «يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم»[٢]، يخرج وهو يبحث عن مواقع الطاقة والماء في العالم فيَرِد كل منهل يبحث فيه عن الماء، وينزل أوَّل ما ينزل في مجمع البحرين.

قال ﷺ: «ليكونن قبل المسيح الدجّال كذّابون ثلاثون أو أكثر»[٣]، لكنَّ الأخطر من الدّجال والدَّجاجلة هو المحتوى والدَّجل نفسه، فعلمُ هذا الدّجال سرٌّ مدّخر عند الله في وقته وعالمه، والدَّجاجلة أشخاصٌ ضمن هياكل ومؤسسات وبرامج وأطروحات، لكن الأخطر من القضيتين هو الدّجل نفسه؛ ومعنى الدّجل: التَّعمية والتَّضليل وقلب الحقائق، قال ﷺ: «إنَّها ستأتي على الناس سنوات خداعات، يصدّق فيها الكاذب ويكَذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرُّويبضة، قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه في أمر العامة»[٤].

إذن يُطبع العالمُ بطبعةٍ وتشيع في العالم لغةٌ، ويصبح هنالك

(١) «صحيح البخاري»، (٣٣٣٧)، «صحيح مسلم»، (١٦٩).
(٢) «صحيح مسلم»، (١١٠) (٢٩٣٧).
(٣) «مسند أحمد»، (٥٨٠٨).
(٤) «سنن ابن ماجه»، (٤٠٣٦).

برمجة للعقول وغسل للمشاعر على نسقٍ معين وإخراج للناس عن الثوابت حتى يصبحوا بلا دين فينسلخوا عن القيم وتحصل حالات من التهجين، فيدخل المجتمع في حالات من التَّناسل والتَّكاثر والتوالد بغير هدى وشريعة، ويحصل ما يشبه فيضان في اللا أخلاق.

هذا المشروع الدَّجالي الخطير قد استعاذ منه النَّبيّ ﷺ، ونحن اليوم نرى العالم يُدجَّن ويُدجَّل عبر الشاشات والقنوات والكثيرٍ من المظاهر فتُنزع القيم والثوابت من النَّاس، وقد كان من دعوات النَّبيّ ﷺ: « ... اللّهمّ وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون»[1]، و«اقبضني إليك» هنا لها عدة معان ، المعنى الأول الذي يتبادر للأذهان هو: القبض ، أي: الانتقال عن هذا العالم وهو قبض الروح ، لكن هنالك معنى ثاني ألا وهو الانقباض النفسي، كما قال أبو الحسن الجرجاني في قصيدته المشهورة :

يقولون لي فيك انقباض وإنما رؤوا رجلاً عن موقف الذُّلِّ أحجما[2]

أن ينقبض العالِم عن حالات الهوان واللَّعب والعبث بالدّين، ولقد أصبح هناك الكثير ممن يتمظهرون بمظهر أصحاب الدين، قال سيدنا حذيفة في أزمنة الفتن: «كن كابن لبون، لا ظهر فيُركب ولا ضرع فيُحلب»[3]، لا بدّ للذي يعمل في خدمة الدِّين والإسلام سواء

(١) «سنن الترمذي»، (٣٢٣٣).
(٢) «أدب الدنيا والدين»، للماوردي ، ص٨٣.
(٣) «المستدرك على الصحيحين»، (٨٦١٢).

كان إماماً أو داعيةً أو شيخاً أو إعلامياً أو منظِّراً أو مبرمجاً أو قائداً أو مجاهداً ألا يكون ورقةً مستأجرةً، ولا عنواناً مستخدماً لإيذاء مسلم أو لعبة نقضٍ تجري في عصبة الإفكِ العالميَّة.

والمسلم يتوجه لله ويدعوه ولإخوانه بالنَّجاة من طوفان العولمة بفِتنها ومِحنها وبالسّلامة ظاهراً وباطناً وحسّاً ومعنىً، وأن يجمع الله كلمة المصلّين وقلوب الموحِّدين، وألا يجعله ولا إخوانه سبباً لفتنةٍ أو فُرقة، وأن يستخدمه وإخوانه في جمع كلمة أمَّة سيدنا محمد ﷺ، حتى إذا كان الورود إلى المحشر رأى رسول الله ﷺ هذه المجامع مبتهجاً وقال: أهلاً أهلاً بمن جمع أمتي ولم يقل سحقاً سحقاً بمن بدَّل وأحدث[1].

مظهر الدَّجال في زمن سيِّدنا موسى

قد تنوَّعت وتوزَّعت أخبار سيدنا موسى في القرآن، فحدثنا الله عزَّ وجل عن ولادته ورَضَاعته وكفالته ونشأته ونبوَّته وهجرته ورحلته، وما جعل له ربُّه في مختلف أطواره وحياته في أكثر من سبعين موضعاً في القرآن الكريم.

وحينما اختار سيدنا موسى سبعين رجلاً وقد استعجل عنهم

(١) قال ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، فمن ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدا، ليرد علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم» قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش، - وأنا أحدثهم هذا، فقال: هكذا سمعت سهلا، فقلت: نعم، قال: وأنا - أشهد على أبي سعيد الخدري، لسمعته يزيد فيه قال: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن بدل بعدي». «صحيح البخاري» (٧٠٥٠)، و«صحيح مسلم»، (٣٩) (٢٤٩).

لملاقاة الله في الميقات أخبره الله عزّ وجل أنّي قد فَتَنتُ قومك من بعدك برَجلٍ اسمه السَّامري قد عَبَّدهُم العِجل، فرجع سيدنا موسى وقد انقسم بني إسرائيل فرقتين وقسمين من آثار هذه الفتنة العظيمة التي أحدثها مظهر الشيطنة والدجَّل آنذاك وهو السَّامري فسأله سيدنا موسى ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ [طه: ٩٥]، أجابه السَّامري كما يقصُّ لنا القرآن: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ [طه: ٩٦]، بمعنى أنه شاهد وعاين ما لم يشاهده القوم، وفي قراءة قال: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا بِهِۦ﴾[1] بمعنى: أنا رأيت ما لم ترَ! فأيُّ انفعال للظواهر وأيّة حالةٍ ومعنى قد حصل للسَّامري فجعله يعبِّر ويقول: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه: ٩٦]، وفي قراءة: ﴿فَقَبَصْتُ قَبْصَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾[2]. اختلف المفسرون مَن الرَّسول؟ وما هو الأثر؟

فمنهم من قال أنَّ الرسول هو موسى عليه السلام فيكون هنا الأثر معنوي، أي: أنَّ السَّامري أخذ من آثار موسى نبي تلك المرحلة وذلك الزمان، الآثار المعنوية من أقوال أو أذكار أو شؤون انفعلت لها بَني إسرائيل، ثم كان العجل كان له الخوار، وحصلت الفتنة العظيمة.

ومنهم من قال أنَّ الأثر هنا أثراً حسِّياً والرَّسول هنا ليس موسى، بل هو رسول الله من الملائكة وهو جبريل؛ يوم أن فَرَق الله سبحانه وتعالى البَحر فنجَّى موسى وأغرق فرعون، كان جبريل عليه

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر»، (٢/ ٣٢٢).
(٢) «الناسخ والمنسوخ»، للنحاس، (٢٤٦).

السلام على طرف البحر على فرَسٍ، فترك حافر هذا الفَرَس آثاراً من ركوب جبريل عليه السلام عليه بروحانيَّته ونورانيَّته وهو سيِّد الملائكة وأمين الوحي المُقدَّم في الحَضَرات العلوية فأنبتت الأرض في أثره، فالتقط السَّامري هذا الأثر وأخذ شيئاً من ذلك التُّراب وأبقاه معه ثم استخدمه فانفعلت له تلك المرحلة، وموسى عليه وعلى نبينا الصَّلاة والسلام حينها في ملاقاة ومواعدة ومكالمة ربِّه، ومعه الرِّجال السَّبعين من أهل الميقات[1].

وجاء في معنى قَبضتُ وقَبصتُ في قول السَّامري: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه: ٩٦]، وفي قراءة: ﴿فَقَبَصْتُ قَبْصَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾، أنَّ القبضة بِبَاطن اليد، أما القَبصة: فهي بأطراف الأصابع[2]، وهنا إشارة إلى أنَّ الأثر سواء كان حِسّياً أم معنوياً، سواء كان الأثر للكليم موسى معنوياً، أو أثر أمين الوحي جبريل حسِّياً، إلا أنَّ السَّامري أخذه بِكُليَّته ممسكاً به بأطراف أصابعه أو آخذاً منه بِبَاطن يده، فكان ذلك علامة وعنواناً على الانفعال، وكان علامة على الشَّر الذي حصل في تلك المرحلة، فالتمسك بالآثار له وجه إلى الخير ووجه إلى الشَّر.

ونحن اليوم ومع آثار النُّبوة السَّارية والجارية والفائضة في العالم، هل نقبضها ونقبصها آثاراً حِسيَّة ومعنويَّة من مقتنيات وآثار

(١) انظر: «مفاتيح الغيب»، للرازي، (٢٢/ ٥٩).
(٢) انظر: المرجع السابق.

وأقوال وأفعال ومناهج وتعاليم ونبوَّة ورسالات وتوجيهات؟ هل نأخذها بكليَّاتنا؟ وأين نصرفها ونستخدمها؟ هل في تعبيد الناس لله؟ أم في أهوائنا وشهواتنا؟

ولعلّي في رسالة أوسع وأجمع أتناول صاحب الجزيرة وابن صيّاد وبعض المظاهر والظّهورات الدّجاليّة المتنوّعة عبر مسيرة الزّمن، وفي الأخبار أنّ ثمّة دجّالين بين يدي الدّجال؛ فالدّجل خطّ متّصل في مسيرة الدّجل العالمي.

خطر التَّحريش الإبليسي بين المصلِّين

عن جابر، قال: سمعت النبي ﷺ، يقول: «إنَّ الشيطان قد أَيِسَ أن يعبُدَهُ المصلّون في جزيرة العرب، ولكن في التَّحريش بينهم»[1].

ينتشر اليوم في صفوف المسلمين الغضب والانتقام ومظاهر من التَّصنيف، فلم تعد تصفو لنا صلاة في المسجِد، مع أن المساجد في الأصل بيوت اطمئنان وأمان ومواصلة وصلة، ما الذي تحوَّل وتغيَّر؟ إنَّه التَّحريش بين المصلِّين ودخول إبليس بالأفانين واختراع المسائِل والمشاكِل، ودخول النَّاس في سلسلة من الجِدالات والنِّقاشات والسَّفاسِف والدُّون، وإنَّ منهم مَن ضيَّع أصول الدِّيانة والدِّين، ثمَّ تراه يتكلَّم في بعض المسائِل من باب الاستعراض أو التَّرف أولتضييع الأوقات أو لاختبار الذي أمامه.

(١) «صحيح مسلم»، (٦٥)(٢٨١٢).

وقد كنَّا ذات مرة في مجلس مع أحد شيوخنا، فوقف سائل وسأله: «من الذي قتل الحسين ؟ قال الشيخ: أمثالك وأشباهك في كلّ زمن»، لأنَّ الَّذي يجدِّد مثل هذه الأطروحات والمسائِل الشَّائكة التي لا يترتَّب عليها معنى ولا فائدة يريد أن يفرِّق صفوف الأمَّة، وقد كنتُ في أحد البلدان فسألني رجل: أين الله؟ قلت له: إن ربك لبالمرصاد، ماذا درس وماذا حصَّل هذا الذي يسأل بهذه الكيفية وهذا الشَّكل؟

وقد تجد المسلمين يصطَّفون للصَّلاة فيدخل النَّاس في مسائِل ومشاكِل تعكِّر عليهم فلا يجتمع صفّهم ولا يجتمع وقوفهم خلف إمامهم، وإذا سَلِم منهم الإمام لم يسلم منهم المؤذِّن وإذا سلم منهم المؤذِن لم يسلم بعضهم لبعض، وقد كنت في مسجِد ذات مرَّة وتكلَّمت عن ضرورة جمع الكلمة، وحينما انتهيت استوقفني أشخاص من أصحاب الصَّف الأول في الصلاة وقالوا لي: نحن لا نصافح بعضنا، قلت لهم: منذ متى وأنتم في المسجد؟ قالوا: نكون قبل الفجر بساعة في المسجد لكن لا نتصافح بسبب أوامر اختلفنا عليها! إذا كان أهل المساجِد وأهل صلاة الفجر والصُّفوف الأولى قلوبهم على بعضِهم غير صافية فكيف ستكون قلوبهم على الغرقى والتَّائهين أو غير المسلمين؟

من للأمَّة الغرقى إذا كنّا نحن الغريقين، إذا أغرقتنا أحقادنا ومكائدنا وأحسادنا وأنانيتنا وشهواتنا وعبثنا ولُعاعتنا ومطالبنا فكيف ستصلح قلوبنا للسِّلم، قال ﷺ لصحابي قد سأله كما يروي الإمام أحمد في المسند « ما الإسلام؟قال: أن يَسلم قلبك لله عز وجلّ وأن

يَسلم المسلمون من لِسانك ويدك»[1]، وفي رواية: «المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده»[2]، سلامة القلب من الهم وسلامة اليد من الدَّم وسلامة اللِّسان من الذَّم.

خطر التطرُّف على المجتمعات

قد انخرط بعض الشباب الآن في تطرُّفين: تطرُّف الدواعش، وتطرُّف الفواحِش، من شباب تركوا الدِّين وأرادوا أن يعيشوا نمط حياة قد استجملوها واستحسنوها عبر الشَّاشات والقنوات ولم يعرفوا عِللها وأمراضها، يريدون أن يعيشوا لرغباتهم

سافرت قبل سنوات لإيطاليا وخطبت الجمعة في خمسة آلاف شخص من الجالية الإسلامية في ميلانو، قلت لهم: منكم من هاجر إلى هنا منذ عشرين أو ثلاثين سنة، وإيطاليا بلد جميل متسامح، زوَّجوكم نساءهم وأكلتم طعامهم وتوظفتم لديهم، بالمقابل ماذا قدمتم للإيطاليين الذين أحسنوا إليكم؟ هل هاجرتم لأجل المناخ مثل الطيور المهاجِرة، أو لأجل الطعام أو تمرُّداً على البلد والأهل مثل سمك السَّلمون الذي يخرج من النَّهر إلى المحيط معاندة بعكس التيار؟

عندما خرج رسول الله ﷺ في حنين وأراد أن يجعل نوعاً من التَّفاهم مع الأنصار فسألهم ثلاث أسئِلة: «يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضُلاَّلاً، فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين، فألفكم الله بي، وعالة

(١) «مسند أحمد»، (١٧٠٢٧).
(٢) «صحيح البخاري»، (١٠).

فأغناكم الله بي»[١]، إذن رسول الله بهجرته قدَّم للمدينة وللأنصار ثلاث مشاريع أساسيَّة:

١. مشروع الهِداية على مستوى الاعتقاد والأفكار.

٢. مشروع السَّلام والتماسك وجمع الكلمة على مستوى الواقِع المجتمعي والإجتماعي أمام التَّفرق والدِّماء والحروب التي كانت بينهم.

٣. مشرع التَّنمية المستدامة والاكتفاء الذّاتي أمام الاستهلاك والحاجة إلى الآخر.

فلم يأتِ رسول الله ﷺ لإشاعة الفوضى في العالم ولا من أجل خلط الأوراق أو إثارة الحروب والثَّارات حاشاه، بل جاء برسالة السَّلام داعياً إلى ما دعا إليه ربّه: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥]، بل عندما سمع رجلاً يوم فتح مكة يقول: «اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة»، قال: «اليوم يوم المرحمة اليوم يعزّ الله قريشاً»[٢].

على الشَّباب أن يفكِّروا كيف يؤمِّنوا بلادهم، فقد استُغفِل بعضهم اليوم وأقنعهم المتشدِّدين بأنَّ هناك جهاد في سوريا والعراق، ونحن لا نرى إلا مسلم يقتل مسلماً، وهذا ليس من الإسلام في شيء، فالآن في العراق اثنين مليون أرملة، وسوريا تحتاج إلى ثلاثين سنة

(١)«صحيح البخاري»، (٤٣٣٠).
(٢) «إمتاع الأسماع»، للمقريزي(٨/ ٣٨٦).

لإعادة إعمارها بعدما كانت بلداً منتجاً لا يستورد شيء، عبث بها شباب مندفعين اخترقهم بعض المتطرِّفين ممَّن يعملون لصالح أجهزة عالمية عبر الشَّاشات والقنوات فغسلوا أفكارهم ومشاعرهم بخطاب يدَّعون أنَّه من القرآن والسُّنة، والحقيقة أنَّ هؤلاء لم يعرفوا قرآناً ولا سُنَّة.

وقد أخبر النبي ﷺ عن أربعة فتن؛ تأتي الفتنة الأولى فيستحل فيها الدماء، والثانية يستحل فيها الدماء، والأموال، والثالثة يستحل فيها الدماء، والأموال، والفروج، والرابعة عمياء مظلمة، تمور مور البحر، تنتشر حتى لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته»[1]، ودم المسلم على المسلم حرام ومال المسلم على المسلم حرام[2].

ونحن نعيش في بلد ونشترك جميعاً بمصير واحد، لكنَّنا نرى اليوم أنَّ المسلمين لا يستوعبون بعضهم بسبب التَّصنيف، فهذا سلفيّ وهذا صوفيّ وهذا شيعيّ وهذا سُنِّي، وقد سألني بعض الشَّباب عن الاقتتال الدائر في الأمة اليوم: «هل هذا جهاد؟ قلت: الجهاد في القدس، وهذا عبث وتضييع لقرار الأمة»، ويستشهد البعض بنصوص مجتزأة، يتطرَّفون في الدِّين بعكس الذين تكلّمنا عنهم في البداية ممَّن يتطرَّفون اللا دينيّاً (الإلحاد).

---

(١) «الفتن لنعيم بن حماد»، (٩٠).

(٢) قال رسول الله ﷺ: «فإن دماءكم وأموالكم - قال محمد: وأحسبه قال - وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم»، «صحيح البخاري»،(٥٥٥٠).

ويحتاج الشَّباب في واقعنا المعاصِر إلى أن يتعرَّفوا إلى دينهم على وجهه الصَّحيح، أو ما نسمّيه بالنُّسخة الأصلية للإسلام، ثم على الشَّباب أن يدركوا أنهم أمام واقِع متغيّر، فهناك سيولة في المعلومات، فكل يوم تتجدَّد معارِف، وهناك سهولة في المواصلات وسرعة في الاتصالات، وقد نجحت أفكار عالمية متطرِفة بأن تسوِّق أفكارها وبرامجها عبر هذه الشَّاشات.

وقد أخبرنا النَّبي ﷺ عن محاولات وأنماط وأفكار تشدُّد، وقد وصَّفها في بعض الأحاديث فقال: «إنَّ هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، ولا تبغِّض إلى نفسك عبادة الله، فإن المنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى»[1].

إنَّ الدين ليس صعباً ولا مغلقاً، لكنه عميق وواسع ومتصل في مناحي الحياة وروح الإنسان وسره وعقله وقلبه ونفسه، والنفس الإنسانية لوحدها اليوم محل دراسات معاصرة، والقلب محل خطاب، والعقل له علوم وأخبار وفعاليات فيما ينتجه ويبرزه، جائت تخاطب هذه المراتب والمراحل في الإنسان الواحد، فكيف بكتلة بني آدم؟

نحن اليوم وأمام هذا العمق الذي نريد أن نفهم وندرك به ديننا خرج أمامنا المنبتِّين المتعجِّلين وغير المؤهلين فتناولوا ديانتنا وفكرنا بنوع من التشدُّد والتقزيم، وأضرب لكم مثلاً من واقعنا ومجتمعاتنا: في يوم من الأيام زرت صديقاً لي وجلست مع ابنه الصغير

(١) «السُّنن الكبرى»، للبيهقي، (٤٧٤٣).

ذو الأربعة أعوام وسألته: هل تحب الله؟ قال: لا، قلت له لماذا؟ قال: لأن أمي تقول لي أن الله سيدخلني في النار! هذا جزء من خطاب الكراهية الذي ننتجه من دون أن نشعر لأن الأم غير مؤهَّلة والرجل لا يتحمل مسؤولية هو وزوجته فلم يوجدوا شراكة يصيغوا بها عقلية هذا الطفل، ومثل هذا النّمط وطريقة التفكير هذه كثيرة ومتعددة مجتمعاتنا.

الأسرة الديجيتال وطوفان العولمة

لم يرتحل النَّبيّ ﷺ إلى الرَّفيق الأعلى إلا وقد ترك أمَّته على المحجَّة البيضاء قال ﷺ: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، مَنْ يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم مِنْ سنَّتي، وسنَّة الخلفاء الرَّاشدين المهديِّين، عضُّوا عليها بالنَّواجذ، وعليكم بالطَّاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنَّما المؤمن كالجمل الأنف، حيثما قيد انقاد»[1].

قد أبان النَّبي ﷺ للأمَّة عن الأبواب ومفاتيحها، وكلَّم الأمَّة عن المراحل ومفاصلها، وعن جميع التَّحوُّلات التي ستداخلها في الزَّمان والمكان، وقد قال ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهذه من هذه، أو: كهاتين»[2]، وقرن بين السَّبابة والوسطى. وإنَّ جميع ما أخبر عنه ﷺ مِنْ أخبار الوقت المتجدِّد منذ زمانه إلى زماننا يدخل في مفهوم دلائل

(١) «سنن ابن ماجه»، (٤٣).
(٢) «صحيح البخاري»، (٥٣٠١).

النُّبـوَّة[١].

وفي يـومٍ مِـنَ الأيَّـام كان النَّبـيّ ﷺ جالسـاً مـع زوجاتـه، فنظـر إليهـنَّ وقـال: «كيـف بإحداكـنَّ تنبـح عليهـا كلاب الحـوأب؟»[٢]، وفي روايـةٍ قـال ﷺ: «أيَّتكـنَّ صاحبـة الجمـل الأدبـب»[٣]. وكأنَّـه يشـير ـ روحـي لـه الفـداء ـ إلى وقعـة الجمـل. وفي يـومٍ مِـنَ الأيَّـام كان الحسـن بـن عـليٍّ ابـن الزَّهـراء سـبط النَّبـيّ ﷺ وعمـره ثـلاث سـنين أو أربـع سـنين يمـشي في المسـجد، فنـزل سيِّدنا النَّبـيّ عـن المنبر وتـرك خطبـة الجمعـة وأخذ الحسـن وضمَّـه إليـه ورفعـه إلى المنبر، ثـم نظـر إلى الصَّحابـة وقـال: «إنَّ ابنـي هـذا سـيِّدٌ ولعـلَّ الله أنْ يصلـح بـه بـين فئتـين عظيمتـين مِـنَ المسـلمين»[٤].

فيحـدِّث النَّبـيّ ﷺ الأمَّـة عـن شـؤونٍ عظيمـة في التَّحـوُّلات، وقـال ﷺ: «هـلاك أمَّتـي عـلى يـدي غلمـة مِـنْ قريـشٍ»[٥]، بـل في حديـث جبريـل عليـه السَّـلام الـذي جـاء في آخـر مائـة يـومٍ مِـنْ حيـاة النَّبـيّ ﷺ بعـد رجوعـه مِـنْ حجَّـة الـوداع، وسـأله أربعـة أسـئلةٍ، عـن الإسـلام والإيـمان والإحسـان، ثـم سـأله: «قـال: يـا رسـول الله متـى السَّـاعة؟ قـال: مـا المسـؤول عنهـا بأعلـم مِـنَ السَّـائل، ولكـن سـأحدِّثك عـن أشراطهـا: إذا

(١) أعمـل هـذه الأيـام عـلى إنجـاز مـشروع توثيـق مرحلـة الخلافـة الراشـدة (وهـي في الأحاديـث النبويـة ٣٠ سـنة) تحـت عنـوان (الأيـام) مـن خـلال ٦ أيـام مفصليـة في هـذه المرحلـة : (يـوم الخميـس، يـوم السّـقيفة، يـوم النّخيـب، يـوم صفّـين، يـوم التّحكيـم، يـوم الجماعـة) تمـم الله ذلـك.

(٢) «مسند أحمد»، (٢٤٢٥٤).

(٣) «مسند البزار»، (٤٧٧٧).

(٤) «صحيح البخاري»، (٢٧٠٤).

(٥) «صحيح البخاري»، (٣٦٠٥)

ولـدت المـرأة ربَّتهـا، فـذاك مِـنْ أشراطهـا، وإذا كان الحفـاة العـراة رؤوس النَّـاس، فـذاك مِـنْ أشراطهـا، في خمـسٍ لا يعلمهـنَّ إلا الله »[1].

تنـاول علـماء الفقـه سـؤال الإسـلام، وتنـاول علـماء العقائـد سـؤال الإيـمان، وتنـاول علـماء التَّصـوف وأهـل الرَّقائـق والسُّـلوك سـؤال الإحسـان، وهـذه الثَّـلاث ثوابـت، لكـن مِـنْ وراءهـا متغـير، وهوعلـم التَّحـوُّلات وفقـه السَّـاعة الـذي ارتبـط بالسُّـؤال عـن علاماتهـا وأماراتهـا وأشراطهـا ومشـاريطها، حدَّثنـا سـيِّدنا النَّبـيّ ﷺ عـن تحـوُّلاتٍ في اقتصـاد الأمَّـة: «إذا تطـاول رعـاة الإبـل البهـم في البنيـان»، فحدَّثنـا عـن تحـوُّلٍ اجتماعـيٍّ في بيـت الأمَّـة: «إذا ولـدت المـرأة ربَّتهـا» وفي روايـة: «إذا ولـدت الأمَّـة ربَّهـا»[2]. وهـذه إشـارة إلى نـوعٌ مِـنَ التَّحـوُّل.

يعيـش العـالم اليـوم طوفانـاً مـن العولمـة، والتـي نـرى الآن احتضارهـا عـبر جائحـة الوبـاء، حتـى أصبـح العـالم في توصيـف مـن يعيشـه (قريـة كونيـة)، لم يكـن العـالم سـاكناً بـل كان متحـركاً تتجـدَّد فيـه أنواعـاً مـن المعـارف وطفـرات مـن التكنولوجيـا وأنماطـاً مـن الاختراعـات والاكتشـافات في كل لحظـة، وتتجـدَّد كذلـك أنماطـاً مـن الحيـاة فيـه، بمعنـى آخـر: إنَّ العـالم بخصوصياتـه اللُّغويـة والثقافيـة والفكريـة والروحيَّـة يعيـش حـالات مـن التَّداخـل، وهـذا يجعـل أمامنـا أشـكالاً وأنواعـاً وأنماطاً يعيشـها شـباب العـالم اليـوم، فلـم يعـد أمـر التواصـل بـين الـشرق والغـرب

(١) المصدر السّابق، (٤٧٧٧).
(٢) «مسند أحمد»، (٢٩٢٤).

أمـراً مسـتصعباً فهنالـك سـيولة في المعلومـات وسـهولة في المواصـلات، وهنالـك حالـة مـن العبـث والفـوضى التـي يعيشـها العـالم ليـس في منطقـة واحـدة فحسـب بـل في العـالم كلـه.

وأمـام هـذا كلـه قـد قُتـل الكثـير مـن صـور الحيـاة مـن حولنـا وضاعـت المسـؤوليات، فقـال ﷺ: «كلّكـم راعٍ وكلُّكـم مسـؤولٌ عـن رعيتـه»[1]، إن المسـؤولية هـي المعنـى الأعظـم الـذي تظهـر بـه حقيقـة خلافتنـا عـن الله سـبحانه وتعـالى، ويوافقهـا بتعبـيرد. طـه عبـد الرحمـن (المسـتودعية) وهـو عنـوان الائتـمان الرّبّـاني للعنـصر الإنسـاني في هـذه الحيـاة، ولكـن للأسـف مـا أكثـر الملـل الـذي أصبـح يداخلنـا اليـوم في كلِّ شيء، أصبحنـا نملّ حتـى ونحـن في أسـفارنا ويصادفنـا مـع مـن يجلـس معنـا، يكـون البعـض منـا مشـتاقاً للآخـر لكـن مـا أن يجلـس معـه حتـى يلتهـي كل واحـد بجوالـه، كـم مِـنْ إنسـانٍ أصبحـت لديـه شـخصيَّتان، شـخصيَّة حقيقيَّـة قـد تكـون خجولـة أو انطوائيَّـة لا يـكاد صاحبهـا أن يُعـرِب أو يُفصِـح، ولكـن عـلى مواقـع التواصـل وتحـت اسـمٍ مسـتعارٍ تـراه أسـداً هصـوراً ناقـداً مِـنَ الدَّرجـة الأولى ومعلِّقـاً عـلى جميـع الأحـداث، أصبـح هـذا الإنسـان شـخصيتان، شـخصيَّة موجـودة في العـالم الحقيقـيِّ وشـخصيَّة موجـودة في العـالم الافـتراضيِّ، إلى أيِّ مـدى اسـتطاعت هـذه القنـوات أنْ توجِـد انفصـالاً في نمـط ومشـاعر وأفـكار وحيـاة الإنسـان.

وقـد توقَّعـت منذ سـنوات وكنـت أتـردَّد بـين جـدَّة ودبي وصفاقس

(١) «صحيح البخاري»، (٨٩٣).

وسوسة في تونس وعدد مِنْ بلدان العالم الإسلاميّ بأن يضطرّ بعض الأطباء في الإرشاد النَّفسيِّ المعاصر بعقد وتأسيس عيادات اسمها عيادات مدمني الفيسبوك وتويتر، وذلك لعلاج أصحاب الاكتئاب بسبب الكوكب الأزرق، لأنَّ الذي يجلس أكثر مِنْ ثمان ساعاتٍ أسبوعيّاً على الشَّاشات والقنوات يعدُّ مدمناً، والذي يقلِّب صفحة الإيميل أو حساب تويتر أو المنشور الذي نشره على الفيسبوك عشرات المرات ليرى الاعجابات والتَّعليقات التي وردت فإن لديه نوعٌ مِنْ أنواع الرُّهاب النَّفسيِّ الذي يتزايد مع معدَّلات انخفاض شحن البطَّاريَّة أو احتماليَّة دخوله إلى مكانٍ لا يوجد فيه شبكة، فبعض الناس حينما يدخل بيت من البيوت يكون أول سؤال له هو هل عندكم تغطية وشبكة؟

يقبع وحيداً فريداً بائساً بين أربعة جدران يظن أنه متصلاً بالعالم وهو في الحقيقة منفصل لا متصل، أصبحت حياة الإنسان في الخارج، لم يعد يعيش حقيقة البركة في يومه وعمله بسبب ما فعلته بنا الآلة، كنا في السابق إذا أردنا أن نشاهد التلفاز نجتمع أمام جهاز واحد في مكان واحد، لكن اليوم أصبحت الآلة هي التي تقترب منا وتأتينا في كل لحظة، فمن الناس من ينام وهو يحتضن الجوال، بل ويدرسون الآن تقنيات يطبعون من خلالها الشاشات عبر جلد وجسم الإنسان لتصبح جزءاً منه، وقد نصل لمرحلة الروبوت التي كنا نراها في أفلام الخيال العلمي كشيء مستحيل، الإنسان الآلي، يريدون الآن أن يصنِّعوا الروبوت ليعيش مع الناس في البيوت خصوصاً وأنَّ المسنِّين

في مجتمعاتِهم كُثُر، صار الإنسان اليوم مصنَّع، حتى طعامه مصنَّع بآليات غير صحية أوجدت السُّموم القاتلة التي نأكلها كالسُّكر والملح والطحين والزيوت المهدرجة والأطعمة المعلَّبة، المياه الميتة التي نشربها في البلاستيك الذي قتلها وأزهقها وأخرج منها روحها، أنا أبحث عن الحياة الأبدية الباقية وكل ما حولي يشدني لأن أكون ميتاً، والعلاقات أصبحت ميتة عبر آلات وأجهزة وجوالات، والمأكولات والمشروبات ميتة عبر معلبات، أين الحياة التي ينشدها الإنسان؟

حتى البيوت أصبحت تشبه الأدغال الإسمنتية، لكن نحن بنيناها بأيدينا، لذلك أصبحت أرواحنا لا تطيق الحياة في دواخلنا، وأصبحنا رقميِّين،إلى أيِّ مدى جعل هذا بيننا وبين الآلة تداخل؟ قد أصبحنا آليِّين مِنْ دون أنْ نشعر، متفاعلين مع الآلة ومنفصلين عن الواقع، يجلس هذا الوحيد بين جدرانٍ أربعةٍ، ويجلس بجواره أبيه أو أمِّه أو أخيه أو أخته أو صديقٍ أو حميمٍ لكن هو وحيداً بينهم! متفاعل مع آلةٍ مع حديد، جهاز يراسل به العالم، تراه مشتاقاً إلى النَّاس ويريد أنْ يرى أصحابه، وعندما يلتقي بأصحابه يكرِّر ذات السلوك ونفس القصَّة فيتواصل مع آخرين ويعلن لهم عن الاشتياق وهو في الحقيقة ليس إنساناً متداخلاً وليس متَّصلاً اجتماعيَّاً!

المشكلة في هذا الأمر أنَّه يؤدِّي إلى نوباتٍ مِنْ الأرق وحالاتٍ مِنْ الآلام التي تتغشَّى أعضاء الإنسان وجسمه والتي بفعلها يفقد إنسانيَّته، راسلتني إحدى الفتيات وهي تشتكي وتقول: بدأت أشعر

بأنِّي إنسان آخر واضطررت إلى تجربةً علاجية مدتها شهرٍ كاملٍ، ماذا فعلت؟ أوقَفَت حسابها في تويتر وفيسبوك ولغت الواتس آب، ولأوَّل مرَّة شَعَرت بأنَّها تأكل كما يجب، وتنصت لأهلها كما يجب، ولأوَّل مرَّة تشعر بأنَّ عيناها تدمع لمشاعر حقيقيَّة، ولأوَّل مرَّة تشعر بأنَّها في جلسةٍ مع صديقاتها ولا تودُّ مغادرتهنَّ ولا التَّشاغل عنهنَّ.

قد وصَّى الله عزَّ وجلّ على لسان لقمان لابنه؛ ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمان: ١٨]، أتعرفون ماذا يعني أنْ تصعِّر خدَّك؟

إنَّ إنشغالنا اليوم بوسائل التَّواصل الاجتماعيِّ وإطراق الرُّؤوس وانحناءها على الشَّاشات وترك النَّاس مِنْ حولنا تتحدَّث وتتكلَّم بآلامها أحياناً وآمالها أحياناً أخرى، ذلك هو نوعٌ مِنَ تصعير الخدِّ، ودخولك إلى عزاءٍ أو عرسٍ والنَّاس فرحين أو حزينين وأنت مشغولٌ بعالمك الخاص وكوكبك الأزرق وحسابك الافتراضيّ الموهوم -والله أعلم إنْ كان اسمك حقيقياً أم مستعاراً، أو كانت آرائه صادقةً أم مزيَّفةً- فهذا ليس من الآداب النبوية ولا من منهج النبي ﷺ القائم على التقدير والاحترام.

واليوم أصبحت الأمُّ تطلب مِنْ ابنتها كأس ماءٍ عبر الواتس آب، وأصبح الوالد يراسل ابنه بمشاعره والذي يفصلهم حائطٌ، لكن كلٌّ واحدٍ يكتب للآخر عبر الآلة، هذا أوجد فينا نوعٌ مِنَ الكسل الاجتماعيِّ والتَّصحُّر العاطفيِّ والفراغ البيتيِّ.

وفي إحدى المرات كنتُ أتكلَّم في جلسة علمٍ وإذا بواحد يقول: «لدينا الشَّيخ جوجل، هذا أعلم أهل الأرض»، أصبح يقيس وجود أيِّ شيخ أو متكلِّم بخطاب الدَّعوة سواءً كان طالب علمٍ أو سالك أو ناسك بما يكون على الشَّبكة، حسناً ومَنْ الذي يغذِّي هذه الأخبار على الشَّبكة، وهل كلُّ ما في عالم البحث على الشَّبكة هو الخلاصات التي وصل إليها النَّاس؟

يقول العلماء: العلم ليس هو المعلومات، وإلا سيكون الكثيرٌ مِنَ المستشرقين اليوم أعلم مِنْ علماء المسلمين وهم كفَّار! مَنِ الذي صنع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشَّريف، هم مستشرقين لم يعرفوا الله ولا ركعوا ولا سجدوا ولا أسلموا، لكنهم عرفوا علوماً ودرسوا القرآن وفهموا السُّنة، هل هم علماء؟ لا ليسوا بعلماء. كلُّ علمٍ دخل إلى القلب مِنْ جهة العقل فزاد الهدى فهو علمٌ، وكلُّ معلومةٍ دخلت إلى العقل مِنْ جهة النَّفْس فزادت الهوى فَهَوت بصاحبها ليست بعلمٍ. هذا ميزانٌ لنفرِّق بين صورة العلم وحقيقته.

ومع الوسائل الحديثة والشَّاشات وقنوات التَّواصل التي دخلت بين النَّاس نحتاج إلى أنْ نحدِّد موقفنا فنتابع أولادنا وبناتنا مِنْ غير مللٍ أو ضجرٍ، نعرف ما الذي يتابعون ويشاهدون، الكثيرٌ مِنْ أبناءنا وبناتنا اليوم هم في معركةٍ خطيرةٍ مع الدَّجَّال والشَّيطان وعسكرهم وأعوانهم وأتباعهم ليست في غسل العقول فحسب ولكن في غسل القلوب أيضاً، عندما ندعي ليل نهارٍ يا ربِّ كرِّه إلينا الكفر

والفسوق والعصيان واجعلنا مِنَ الرَّاشدين، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]، ونرى أولادنا وبناتنا صرعى طرحى أمام شاشاتٍ تقتل فيهم معاني المروءة، أصبحت الفتاة تستمرئ صورة تلك المرأة المتفلِّتة مِنْ خطاب الدِّين والتي تبيع أشرف ما عندها لأجل لذَّة وظرفٍ مجتمعيٍّ، والشَّاب عندما يتابع وسيماً مِنْ نجوم الشَّاشات بموسيقى تصويريَّةٍ وأسلوبٍ يمكِّن لسرقة السَّارق وسوء السَّيء فيصبح لدى المشاهد مشاعر آثمة ومحرَّمة ومختلطة وممتزجة يفقد فيها الإنسان حقيقة إنسانيَّته.

وَعدنا النَّبيّ ﷺ بأنَّ أوطان المسلمين ستتحرَّر ورايات الخير ستظهر على مقدَّساتهم، لكن ما أخاف عليه هم أولادنا وبناتنا، مَن الذي سينقذ أوطان قلوبهم؟ مَن الذي سيحرِّر ساحات أرواحهم؟ قال رسول الله ﷺ: «كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته»[1].

اليوم ومع القرية الكونيَّة والعالم المتحوِّل نطلق على الأسرة مفهوماً جديداً وذلك بسبب دخول العالم الرَّقميِّ والتِّكنولوجيا المستحدثة للأسرة، مما جعلها أنماطاً وأشكالاً تترسَّم وتشتغل بناءً عليها مع هذه المستحدثات عبر الشَّاشات والقنوات ووسائل التَّواصل الاجتماعيِّ، هذا المصطلح ممكن أنْ نسميه (الأسرة الدِّيجيتال) ماذا نعني بذلك؟

(١) «صحيح البخاري»، (٢٤٠٩)، و «صحيح مسلم»، (٢٠) (١٨٢٩).

الأسرة أو البيت الدِّيجيتال هو البيت الذي يواكب آخر موضات وأنماط العصر الثقافيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والنفسيَّة، والتي دخلت للبيت بكل إحداثيَّاتها في العالم الرَّقميِّ، هذا مِنْ جهة شكرٍ للنِّعمة، قال الله عزَّ وجلّ: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[الضُّحى: ١١]، ومِنْ نعم الله على أهل الزَّمان سهولة المواصلات وسرعة الاتِّصالات وحركة المعلومات وسيولة هذا العالم المتحرِّك غير السَّاكن، ومِنْ جهةٍ أخرى قد يكون هنالك ما يسمَّى بغير الاستخدام أو الالتفات الرَّاشد لهذه الوسائل وهذه الشَّاشات ولهذه القنوات.

نحن اليوم أمام سلاح ذو حدين، فإما أن نجعل منه نِعمة نشكر الله عليها، أو يصبح بلاء مركباً في حياتنا.

هناك شيخ مربّي في الأردن اسمه: (الشَّيخ محمد سعيد الكردي)،قد توفي رحمه الله في السَّبعينات القرن الماضي، كان يقول للعوائل: «من أدخل المذياع إلى بيته فكأنما رضي برجل فاسق في البيت»؛ لأننا لا نعلم الأخبار صحيحة أم غير كاذبة، و«من أدخل التِّلفاز كأنما رضي برجل كافر في البيت»، أقول: لو أدرك هذا الشِّيخ مواقع التواصل والإنترنت في زماننا لقال أن هذا هو الدَّجال بعينه.

لا أتكلَّم بسوداويَّةٍ ولا أصف هذا بأنه مشكلة المشاكل، لا، بل هو مشكلةٌ مِنْ مشاكل العصر ويحتاج منَّا أنْ نستخدمه بأسلوبٍ راشدٍ، وعلى الأب والأم أنْ يتنبهوا إلى التَّغذية العقلية والسلوكية والفكرية والاجتماعية التي يأخذها أبناءهم وبناتهم.

إلى الآن لم توجد معالجة شبابية راشِدة لأزمات الشَّباب أمام العوالِم الافتراضية، كيف لنا أن نوجِد رؤية أو مشروع حل نتجاوز من خلاله هذا التَّحدي فنستثمره استثماراً إيجابي؛ لأنَّ الكثير من الأشياء لها وجه إيجابي ووجه سلبي، والقرآن في غاية الموضوعية، حتى لّما حدثنا عن الخمر أخبر أنَّ فيها منافع ومضارّ وإثمها أكبر من نفعها، إذن حتى القرآن يقول لك أن الخمر فيه فائِدة لكن غلبة الضّر على النَّفع جعلت الإثم فيه يُحرَّم، ولا بدَّ لنا من أن ننتهج نهج القرآن في دِراسة المواضيع.

وبعد هذه الجولة في قراءة برنامج العمل المشترك بين إبليس والدّجال نخلص إلى أنّ فعالية إبليس الصوتية في الوسوسة وما اتّسع منها، وأن الدّجال عبثه مرئي، فيشترك الدّجل والأبلسة عبر الوكلاء والمقاولين المتّصلين بهذا المشروع من العنصر الإنساني يرسون مقاولة الشرّ في هذا الوجود، ويضيفون عبثاً وفساداً وكراهية وسعيراً ﴿ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦].

نسأل الله أن يجنّبنا الفتن والمحن ما ظهر منها وما بطن وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله ربِّ العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

- إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان، لأحمد بن أبي الضياف.
- إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي.
- أدب الدنيا والدين، للماوردي.
- الأسس والمنطلقات، للحبيب أبي بكر المشهور.
- إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، للمقريزي.
- البداية والنهاية، لابن كثير.
- بذل الماعون في فضل الطاعون، لابن حجر العسقلاني.
- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، للديار بكري.
- التاريخ الكبير، للبخاري.
- التحرير والتنوير، لابن عاشور.
- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب، للإمام الرازي.
- تفسير الصابوني.
- تفسير الطبري، للإمام الطبري.
- تفسير القرطبي.
- حجة القراءات، لأبي زرعة ابن زنجلة.
- دراسة في السيرة، لعماد الدين خليل.
- دلائل النبوة، للإمام البيهقي.
- الروض الأُنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للسهيلي.
- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد الصالحي.

- السنّة، لابن عاصم.
- سنن ابن ماجه.
- سنن أبي داود.
- سنن الترمذي.
- سنن الدارقطني.
- سنن الدارمي.
- السنن الكبرى، للإمام البيهقي.
- السنن الكبرى، للنسائي.
- السنن الصغرى، للنسائي.
- السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ، لأبي الفرج علي الحلبي.
- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لابن حبّان.
- شعب الإيمان، للإمام البيهقي.
- صحيح ابن حبّان.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لابن سيد الناس.
- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، للسيوطي.
- الفتن، لنعيم بن حمّاد.
- المجالسة وجواهر العلم، للدينوري.
- مختصر تاريخ دمشق، لابن عساكر.
- المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرِّجال للمعرفة، للأصبهاني.

- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري.
- مسند الإمام أحمد.
- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، للإمام البزار.
- مسند الحارث = بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، لابن أبي أسامة الحارث.
- مسند الشهاب القضاعي.
- مصنف ابن أبي شيبة.
- معالم السنن، للخطابي.
- معجزات النبي ﷺ، لابن كثير.
- المعجم الأوسط، للطبراني.
- المعجم الكبير، للطبراني.
- مقالات في فقه التحولات، للشيخ عون القدومي.
- المواهب اللدنية بالمنح المحمَّدية، للقسطلاني.
- الناسخ والمنسوخ، للنحاس.
- النُّبذة الصغرى، للحبيب أبي بكر المشهور.
- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري.
- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، للسمهودي.

فهرس المحتويات

تعضيد العلامة الحبيب أبو بكر المشهور	(٥)
الوجه الآخر للكورونا	(٧)
الحب في زمن الكورونا	(٩)
راديو وتلفزيون محبة	(١٠)
الطمأنينة في ساعة القلق	(١٣)
في بطن الحوت	(٣٩)
الواقع وفقه التحولات	(٤٩)
الظروف تكيفنا ولا تتلفنا	(٦١)
في واقع النبوة والرسالة	(٦١)
ظاهرة وباء كورونا علامة من علامات الساعة بين الصغرى والوسطى	(٨٧)
صوت إبليس وعين الدجال	(١٠٧)
مصادر الشر الأربعة في العالم	(١٠٧)
خطر العمل الإبليسي الممنهج	(١١٣)
الثالوث الوبائي	(١١٦)
أمارات الساعة ومظاهر الانحرافات والفتن	(١١٧)
من صور مسلك الدّجل في الأجيال والشعوب	(١٢١)
فتنة المسيخ الدجال	(١٢٢)
مظهر الدجال في زمن سيدنا موسى	(١٢٦)
خطر التّحريش الإبليسي بين المصلّين	(١٢٩)
خطر التّطرف على المجتمعات	(١٣١)
الأسرة الديجتال وطوفان العولمة	(١٣٥)
فهرس المصادر والمراجع	(١٤٧)
فهرس المحتويات	(١٥١)

الكوكب مكركب

كَوْكَبٌ قالوا مُكَرْكَبْ ... سَـامَهُ فِكْـرٌ مُرَكَّـبْ
لـم يَعُـدْ في الأَرْضِ إلا ... مَجْلِسٌ لِلْعِلْمِ يُنْسَـبْ
أو نَشِـيدٍ نَبَـوِيٍّ ... فيه إيناسٌ ومَكْسَـبْ
إِخْـوَةٌ في اللّـهِ بَاتُـوا ... لِرَسُـولِ اللّـهِ أَقْـرَبْ
أَطْرَبُـوا قَلْبـاً حَزِيناً ... عاشَ في الدنيا لِيَطْرَبْ
هٰكـذا الدُّنيـا تراهـا ... مِنْ عَجِيبٍ فَوْقَ أَعْجَبْ
وَبِعَـوْنٍ صِرْتُ أرجو ... أَنْ أَرىٰ الأُرْدُنَّ أَطْيَـبْ
ورِفاقـاً سـانَدُوهُ ... لَهُمُ الفَتْـحُ المُخَصَّبْ
وصَبِيّـاً ذا لِبـاسٍ ... حَمَلَ المَعْنىٰ لِيُنْسَـبْ
بـارَكَ اللّـهُ خُطـاهُ ... فَهْوَ في الأَحْبَابِ يُكْتَبْ

أبوبكر العدني ابن علي المشهور
٧ ربيع الأول ١٤٤١

عقيب مولد الليلة الفائتة في منزل أخي محيي الدين القطب وقد تكاثرت أسئلة الشباب الحضور عن أحوال الواقع المعاش وأزمة تكوين أسرة وتربية الأولاد..

لمحت كتابة على بلوزة أسامة أحد الفتية الحاضرين لخصت لسان الحال (الكوكب مكركب) وأجابني إلى الصورة توثيقا للسان المجلس وشاهد الحال..

أرسلت لمشايخي وبعض أحبتي الصورة ومعها خبرها مساء ليتحفني أستاذي ومغذي روحي مولانا الحبيب أبو بكر العدني بن علي المشهور بأبيات غاية في الحكمة والتوجيه لكل نبيه..

أحببت أن أشارك بها أحبتي ونتضرع إلى الحق الكريم أن يمتعنا بحياة شيخنا ورجال الله أجمعين..

دار المُعين للنشر والتوزيع
Dar Al Mueen Publishing and Distribution
daralmueein info@daralmueein.com